ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم."
قال: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه. روى محمد بن سعد بسند يرفعه إلى سهل بن
سعد قال: جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على
أكتافنا، فقال صلى الله عليه وسلم: "لا عيش إلا عيش الآخرة، فأغفر للأنصار والمهاجرة.
وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ينقل معنا
التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول:

لاهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى لقد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

أبينا يرفع بها صوته صلى الله عليه وسلم.
وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله
تعالى عند ذكرنا لمعجزاته، ومنها ما يتعين ذكره هاهنا، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق
عن جابر بن عبد الله قال: اشتدت على الناس في بعض الخندق كدية، فشكوها إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم
نضح ذلك الماء على تلك الكدية، فيقول من حضرها: فو الذي بعثه بالحق لآنهالت حتى
عادت كالكثيب، لاترد فأسا ولا مسحاة.
قالوا: وفرغوا من حفر الخندق في ستة أيام، وكانوا يعلمون فيه نهارا وينصرفون ليلا، ورفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان في الآطام، وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الآثنين لثمان مضين من ذي القعدة، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن
حارثة، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عبادة. وأقبلت قريش ومن شايعها وتابعها، وآجتمع
إليها بعد فراغ الخندق، فصار الخندق بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم، وظهور
المسلمين إلى سلع، وخرج حي ابن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظى، صاحب
عقد بنى قريظة، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده،
فأغلق كعب دون حي باب حصنه، وأبى أن يفتح له، فناداه حي: ويحك يا كعب! افتح

لي. قال: ويحك! إنك آمرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه،
ولم أر منه إلا وفاء وصدقا. فعاوده مرارا، وهو يأبى عليه حتى قال له حي: والله إن
أغلقت دونى إلا عن جشيشتك أن آكل معك.
فأحفظه ذلك، ففتح له، فقال: ويحك ياكعب! جئتك بعز الدهر وببحر طارم، جئتك
بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونه غطفان على قادتها
وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى على جانب أحد، وقد عاهدونى وعاقدونى على ألا
يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه. فقال له كعب: جئتنى والله بذل الدهر، وبجهام قد
هراق ماءه، يرعد ويبرق، ليس فيه شئ، ويحك يا حي! فدعنى وما أنا عليه، فإني لم أر
من محمد إلا صدقا ووفاء. فلم يزل به حي حتى سمح له، أن أعطاه عهدا من الله وميثاقا
لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أدخل معك في حصنك حتى يصيبنى ما
أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فلما أنتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين وصح ذلك
عنده كبر، وقال: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قال: ونجم النفاق وفشل الناس، وعظم البلاء،
وأشتد الخوف، وخيف على الذرارى والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: "إذ جاءوكم من
فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا"
قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سلمة بن اسلم في مائتى رجل، وزيد بن
حارثة في ثلثمائة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذرارى من
بنى قريظة، وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع غيره
من الأنصار يحرسونه كل ليلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وجاه العدو
لايزولون يعتقبون خندقهم ويحرسونه، والمشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب
في أصحابه يوما، ويغدو خالد بن الوليد يوما، ويغدو عمرو بن العاص يوما، ويغدو هبيرة بن

أبى وهب يوما، ويغد ضرار بن الخطاب الفهرى يوما، فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويجتمعون
مرة ويتفرقون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقدمون
رماتهم فيرمون، فرمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحلة، فقال: خذها
وأنا ابن العرقة. ويقال: رماه أبو أسامة الجشمى.
قال ابن هشام: ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى، وهما
قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه،
فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولاعزيمة الصلح، فلما أراد
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر
ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمر تحبه فتصنعه، أم شئ أمرك الله به
لابد لنا من العمل به، أم شئ تصنعه لنا؟ قال: بل شئ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك
إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن
أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن
وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن
يأكلوا منها ثمرة إلا قراء أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزنا بك وبه، نعطيهم
أموالنا 1! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا
وبينهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ
الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.
قال ابن سعد: ثم اجتمع رؤساؤهم أن يغدوا يوما، فغدوا جميعا ومعهم رؤساء سائر
الأحزاب، وطلبوا مضيقا من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم
وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقيل لهم: إن
معه رجلا فارسيا، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا: فمن هناك إذا، فصاروا إلى مكان ضيق

أغفلة المسلمون، فعبر منه عكرمة بن أبى جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب،
وهبيرة بن أبى وهب، وعمرو بن عبد ود فجعل عمرو بن عبد ود يدعو إلى البراز، ويقول:

ولقد بححت من الندا لجمعهم هل من مبارز

وكان ابن تسعين سنة، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وقال له: يا عمرو،
إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه؛
قال له: أجل. قال له: أجل. قال له: فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال: لا
حاجة لى بذلك؛ قال: فإني أدعوك إلى النزال؛ قال: يابن أخي، فو الله ما أحب أن أقتلك؛
فقال له علي: ولكنى والله أحب أن أقتلك؛ فحمى عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه
فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا، فقتله علي رضى الله عنه،
وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عكرمة بن أبى جهل يومئذ
رمحه وهو منهزم عن عمرو. فقال حسان بن ثابت:

فر وألقى لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظاي م ما إن تجور عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستأنسا كأن قفاك قفا فرعل

قال ابن سعد: وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقه بأثنين،
ثم اتعدوا أن يغدوا من الغد، فباتوا يعبئون أصحابهم، وفرقوا كتائبهم، ونحوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد، فقاتلوهم يومهم ذاك إلى هوى من
الليل، ما يقدرون أن يزولوا من موضعهم، ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
أصحابه ظهرا ولا عصرا ولا مغربا ولا عشاء حتى كشفهم الله تعالى، فرجعوا متفرقين إلى
منازلهم وعسكرهم، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام
أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين، وكر خالد بن الوليد في خيل من
المشركين يطلبون غرة من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وحشى، فزرق الطفيل
بن النعمان بمزراقه فقتله وانكشفوا، وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبته فأمر

بلالا فأذن وأقام للظهر فصلى، ثم بعد ذلك لكل صلاة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم
من الصلوات، وقال: شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملا الله أجوافهم
وقبورهم نارا.
ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعا حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل طمعا في
الغرة، قال: وحصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بضع عشرة ليلة. وقال ابن
إسحاق: أقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر.
ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة بن الأشجع ابن ريث
بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن
قومي لم يعملوا بإسلامي، فمرني بما شئت؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنت
فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة." فخرج نعيم بن مسعود
حتى أتى بنى قريظة، وكان لهم نديما في الجاهلية، فقال: يابنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم،
وخاصة ما بينى وبينكم؛ قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم؛ فقال: إن قريشا وغطفان
ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تجلوا منه إلى
غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه،
وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك
لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا
مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا
معهم محمدا حتى تناجزوه؛ قالوا: لقد أشرت علينا بالرأى. ثم خرج حتى أتى قريشا،
فقال لأبى سفيان ومن معه: قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا، وإنه قد بلغنى أمر قد
رأيت منه علي حقا أن أبلغكموه نصحا لكم، فاكتموا عنى؛ قالوا: نفعل؛ فما هو؟ قال:
تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا

قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين: قريش وغطفان، رجلا من
أشرافهم، ونعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم؟
فأرسل إليهم: نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا
إليهم منكم رجلا واحدا. ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أهلى
وعشيرتى، وأحب الناس إلى، ولا أراكم تتهمونى؛ قالوا: ما أنت عندنا بمتهم؛ قال: فاكتموا
عنى؛ قالواك نفعل. ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة
السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل، في
نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا
للقتال حتى نناجز محمدا، ونفرغ فيما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو
يوم لانعمل فيه شيئا، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثا فأصابه مالم يخف عليكم، ولسنا
مع ذلك بالذي نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا
حتى نناجز محمدا، فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى
بلادكم وتتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما
قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق،
فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا، فإن كنتم تريدون
القتال فأخرجوا فقاتلوا؛ فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم
نعيم ابن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة آنتهزوها، وإن كان غير
ذلك آنشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله
لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا. فأبوا عليهم، وقال أبو سفيان: ألا أرانى أستعين بإخوة
القردة والخنازير! فوقع الآختلاف والخذلان بينهم، وبعث الله عز وجل عليهم ريحا في ليلة
شتاتية شديدة البرد، فكفأت القدور وطرحت الأبنية.

فلما آنتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع بينهم من الاختلاف أرسل حذيقة
بن اليمان إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا. قال حذيقة: دعانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: يا حذيقة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تحدثن شيئا. فذهب
فدخلت فيهم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء. فقام
أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر آمرؤ من جليسه؟ قال حذيقة: فأخذت بيد الرجل
الذي كان إلى جنبى، فقلت: من أنت؟ فقال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر
قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخف، وأخلفنا بنو قريظة،
وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فآرتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى
جمله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو
قائم، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ألا أحدث شيئا حتى آتيه، ثم لو
شئت، لقتلته بسهم. قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر.
وسمعت غطفان ما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانصرف راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح. وكان شعار
المسلمين في غزوة الخندق حم لاينصرفون.
ولما آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه: لن
تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزوهم. فكان كذلك.
قال آبن سعد: وكانت مدة الحصار خمس عشرة ليلة، وانصرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس. وقد ذكرنا ما قاله غير في ذلك.

من استشهد من المسلمين
في غزوة الخندق ومن قتل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن
أوس بن عتيك من بنى عبد الأشهل، قتله خالد بن الوليد؛ وعبد الله بن سهل الأشهلى،
وثعلبة بن عنمة بن عدي، قتله هبيرة بن أبى وهب؛ وكعب بن زيد من بنى دينار، قتله

ضرار بن الخطاب. وسعد بن معاذ مات من جراحة بعد بنى قريظة، والطفيل بن النعمان
بن جشم.
وقتل من المشركين أربعة نفروهم: عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق من بنى
عبد الدار بن قصى، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، وعمرو بن عبد ود، ويقال: وابنه حسل
بن عمرو، قتلهما علي بن أبى طالب رضى الله عنه.
ما أنزل من القرآن
في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك
أنزل الله عز وجل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الخندق والأحزاب قوله
تعالى: "يأيها الذين آمنوا آذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا" قال أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم
الثعلبى رحمه الله: قوله: "إذ جاءتكم جنود" يعنى الأحزاب: قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير. فأرسلنا عليهم ريحا قال: وهي الصبا.
قال عكرمة: قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقى بنصرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت الشمال: إن الحرة لا تسرى بالليل؛ وكانت الريح التى أرسلت عليهم
الصبا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "نصرت بالصبا وأهلكت عاد
بالدبور." قوله: "وجنودا لم تروها" هي الملائكة، ولم تقاتل يومئذ، قال المفسرون: بعث الله
تعالى عليهم بالليل ريحا باردة، وبعث الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط،
وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم
الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بنى
فلان، هلم إلى؛ فإذا اجتمعوا عنده قال: النجاء النجاء، أتيتم. لما بعث الله عليهم من
الرعب، فانهزموا من غير قتال.
قوله تعالى: "إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب
الحناجر وتظنون بالله الظنونا" قال: قوله: "إذ جاءوكم من فوقكم" يعنى من فوق الوادي من
قبل المشرق، عليهم مالك بن عوف النصرى، وعيينة آبن حصن الفزارى في ألف من

غطفان، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بنى أسد، وحي بن أخطب في يهود بنى
قريظة. ومن أسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب
في قريش ومن تبعه، وأبو الأعور السلمى من قبل الخندق.
وقال ابن إسحاق: الذين جاءوا
من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان. وإذ زاغت الأبصار
أي مالت وشخصت وبلغت القلوب الحناجر زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من
الفزع. وتظنون بالله الظنونا قال: أما المنافقون فظنوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم
وأصحابه سيغلبون ويستأصلون، وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق، وأنه
سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون.
قوله تعالى: "هنالك آبتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا"
قال: أي آختبروا ومحصوا،
ليعرف المؤمن من المنافق وزلزلوا: حركوا وخوفوا زلزالا تحريكا شديدا.
قوله تعالى: "وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا"
قال: يعنى معتب بن قشير وأصحابه والذين في قلوبهم مرض أي شك وضعف اعتقاد.
وقد قدمنا في أخبار المنافقين ما تكلم به معتب بن قشير في هذه الغزوة.
قوله تعالى: "وإذ قالت طائفة منهم يأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم
النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا." قالت طائفة منهم أي من
المنافقين، وهم أوس بن قيظى وأصحابه، قال مقاتل: هم بنو سالم. قال ابن عباس رضى
الله عنهما: قالت اليهود لعبد الله بن أبى وأصحابه من المنافقين: ما الذي يحملكم على قتل
أنفسكم بيد أبى سفيان وأصحابه! فارجعوا إلى المدينة.
ويستأذن فريق منهم النبى في
الرجوع إلى منازلهم بالمدينة، وهم بنو حارثة بن الحارث
يقولون إن بيوتنا عورة أي خالية
ضائعة، وهي مما يلي العدو، وإنا لنخشى عليها العدو والسراق، قال: وقرأ ابن عباس وأبو
رجاء العطاردي عورة بكسر الواو، يعني قصيرة الجدران فيها خلل وفرجة. وأخبر تعالى
أنها ليست بعورة، إن يريدون إلا الفرار.

قوله تعالى: "ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها إلا
يسيرا" قال: يقول: لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة من أقطارها
جوانبها ونواحيها ثم سئلوا الفتنة الشرك لأتوها أي لجاءوها وفصلوها ورجعوا عن الإسلام
عن الفتنة إلا يسيرا ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال: هذا قول أكثر
المفسرين.
وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى هلكوا.
قوله تعالى: "ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا" قال:
عاهدوا الله أي من قبل غزوة الخندق لا يولون عدوهم الأدبار
قال يزيد بن رومان: هم بنو
حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بنى سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا
لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم.
وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من
الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن.
فساق الله تعالى ذلك إليهم في
ناحية المدينة.
وقال مقاتل والكلبى: هم السبعون رجلا الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
العقبة وقالوا له: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم:
"أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه
أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم." قالوا: فإذا فعلنا ذلك فمالنا يا رسول الله؟ قال:
"لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة." قالوا: قد فعلنا.
فذلك عهدهم "وكان عهد الله مسئولا" أي عنه.
قوله تعالى: "قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا" قال:
أي الذي كتب عليكم وإذا لا تمتعون إلا قليلا إلى آجالكم، والدنيا كلها قليل.
قوله تعالى: "قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة" أي
نصرة "ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا."
قوله تعالى: "قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا

قليلا" قال: المعوقين المثبطين منكم للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائلين
لإخوانهم هلم إلينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فإنا نخاف عليكم الهلاك ولا
يأتون البأس الحرب إلا قليلا دفعا وتعذيرا.
قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة
رأس، ولو كانوا لحما لآلتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك. وقال
مقاتل: نزلت في المنافقين، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا: ما الذي يحملكم على
قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم
أحدا، وإنا لنشق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا، هلم إلينا. فأقبل عبد الله بن أبى
وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبى سفيان ومن معه، وقالوا: ما ترجون من
محمد؟ فو الله ما يرفدنا بخير، وما عنده خير، وما هو إلا أن يقتلنا هاهنا، انطلقوا إلى
إخواننا وأصحابنا. يعني اليهود، فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيمانا وآحتسابا.
وقال ابن زيد: لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فوجد أخاه، بين يديه شواء ورغيف ونبيذ، فقال: أنت هاهنا في الشواء والرغيف والنبيذ
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف! فقال: هلم إلى هذا، والذي يحلف
به لا يستقبلها محمد أبدا؛ فقال: كذبت والذي يحلف به - وكان أخاه من أبيه وأمه - أما
والله لأخبرن النبى صلى الله عليه وسلم أمرك. فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليخبره، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية.
قوله تعالى: "أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدورا أعينهم كالذي
يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على أولئك لم
يؤمنون فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا" قال: أشحة عليكم بالخبر والنفقة
في سبيل الله، وصفهم الله تعالى بالجبن والبخل فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور
أعينهم في رءوسهم من الخوف والجبن، أي كدوران أعين الذي يغشى عليه من الموت فإذا

ذهب الخوف سلقوكم أي عضوكم ورموكم بألسنة حداد ذربة، وأصل السلق: الضرب قال
قتادة: يعنى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا، فإنا قد
شهدنا معكم القتال، ولستم بأحق بالغنيمة منا؛ وأما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأ
مقاسمة، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق. أشحة على الخير يعنى الغنيمة أولئك
لم يؤمنوا.
قوله تعالى: "يحسبون الأحزاب لم يذهبوا" يعنى هؤلاء يحسبون الجماعات لم ينصرفوا عن
قتالهم، وقد انصرفوا جبنا منهم وفرقا وإن يأت الأحزاب أي يرجعوا إليهم كرة ثانية يودوا
من الخوف والجبن لو أنهم بادون خارجون إلى البادية في الأعراب أي معهم يسألون عن
أنبائكم يسأل بعضهم بعضا عن أخباركم، وما آل إليه أمركم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الإ
قليلا يعني رياء من غير حسبة، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيرا.
ثم قال تعالى مشيرا إلى المؤمنين: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما" قال قوله: أسوة حسنة أي سنة
صالحة، أن تنصروه وتؤازروه، ولا تتخلفوا عنه، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان
نصرته كما فعل هو، إذ كسرت رباعيته وجرح، وقتل عمه حمزة، وأوذى بضروب الأذى،
فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضا كذلك، واستنوا بسنته لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر وذكر الله كثيرا أي في الرخاء والبلاء، ثم ذكر المؤمنين بوعود الله تعالى، فقال: ولما
رأى المؤمنون الأحزاب الآية، قال: ووعد الله إياهم قوله: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما
يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب.
قوله تعالى: "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر وما بدلوا تبديلا" قال: قوله: صدقوا أي وفوا به.

فمنهم من قضى نحبه يعنى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد.
والنحب: النذر، والنحب أيضا: الموت، قال ذو الرمة:
عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر
أي مات، قال مقاتل: قضى نحبه، أي أجله، فقتل على الوفا، يعنى حمزة وأصحابه الذين
آستشهدوا بأحد، رضوان الله عليهم. وقيل: قضى نحبه، أي بذل جهده في الوفا بعهده،
من قول العرب: نحب فلان في سيره يومه وليلته؛ إذا مد فلم ينزل، قال جرير:
بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب
ومنهم من ينتظر قال ابن إسحاق: ينتظر ما وعد الله به من نصرة، والشهادة على ما مضى
عليه أصحابه. وما بدلوا تبديلا أي ما شكوا وما ترددوا في دينهم، وما آستبدلوا به غيره.
ثم قال تعالى: "ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن
الله كان غفورا رحيما. ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا" يعنى قريشا وغطفان
"وكفى الله المؤمنين القتال" أي بالملائكة والريح "وكان الله قويا عزيزا،" وبيده الفضل والمنة.
غزوة بنى قريظة
غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة خمس من مهاجره.
وقال ابن إسحاق: في شوال منها.
قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن سعد، دخل حديث بعضهما في بعض، قالا: لما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون، ووضعوا السلاح،
فلما كانت الظهر أتى جبريل - عليه السلام - النبى صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة
من إستبرق، على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا
رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت إلا من
طلب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل
بهم. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن في الناس: إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بنى قريظة.
واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم،

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، فأعطاه لواءه، وقدمه إلى بنى قريظة، فسار
علي حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم،
فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا
تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: أظنك سمعت منهم لي أذى؛ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو
رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال
لهم: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت
جهولا. ثم نزل صلى الله عليه وسلم على بئر من آبار بنى قريظة من ناحية أموالهم يقال
لها: بئر أنا؛ ويقال: بئر أنى؛ وتلاحق به الناس، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا
العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم. لا يصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة.
فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يأتوا بنى قريظة، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، وتخوف ناس فوت الصلاة
فصلوا، فما عنف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الفريقين، ولا عابهم الله تعالى
في كتابه.
قال: وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف والخيل
ستة وثلاثون فرسا، فحاصرهم خمسة عشر يوما. قاله ابن سعد.
وقال ابن إسحاق: خمسا وعشرين ليلة أشد حصار حتى جهدهم الحصار، وقذف الله
في قلوبهم الرعب. وكان حي بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم، حين رجعت
عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد، فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم ما
ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيها شئتم؛ قالوا: وماهي؟ قال: نتابع هذا
الرجل ونصدقه، فو الله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون
على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل

به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه
رجالا مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبينه، فإن نهلك نهلك
ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، وإن نظهر فلعمرى لنجدت النساء والأبناء؛ قالوا: نقتل
هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإذا أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة
السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فآنزلوا لعلنا نصيب من محمد
وأصحابه غرة؛ قالوا علينا سبتنا، وتحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا قد علمت،
فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ؛ قال: ما بات منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة واحدة
من الدهر حازما. ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبعث إلينا أبا لبابة بن
عبد المنذر لنستشيره في أمرنا؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه
النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبانة، أترى أن ننزل على حكم
محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقه، أي إنه الذبح، قال أبو لناتة: فو الله ما زلت قد
مای من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله. ثم آنطلق أبو لبابة على وجهه،
ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده،
وقال: لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علي. قال: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو كان جاءني لآستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما
فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. فأنزل الله تعالى فيه: وآخرون
اعترفوا بذنو بهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور
رحيم. قالت أم سلمة رضى الله عنها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من
السحر وهو يضحك، فقلت: مم تضحك أضحك الله سنك يا رسول الله؟ .
قال: تيب على أبى لبابة. قالت: فقلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى، إن شئت.
فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر

فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله، حتى يكون رسول الله
هو الذي يطلقني بيده؛ فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.
قال ابن هشام: أقام أبو لبانة مرتبطا في الجذع ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة،
فتحله للصلاة، ثم تعود فتربطه.
هذا ما كان من أمر أبى لبابة؛ وأما يهود فإن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن
عبيد، وهم نفر هدل، قال ابن إسحاق: ليسوا من بنى قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك،
هم بنو عم القوم، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وخرج تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى فمر بحرس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة، فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن
سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم، وقال: لا أغدر بمحمد أبدا - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا
تحرمنى عثرات الكرام؛ ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه، فلم يدر أين توجه من الأرض
إلى آخر الدهر، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ذاك رجل نجاه الله
بوفائه؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق. والله أعلم.
حكم رسول
نزول بنى قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسؤال الأوس فيهم؛
وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى وقتلهم
قال: ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتواثبت
الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس
ما قد علمت. يعنون بنى قينقاع لما أطلقهم صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبى بن
سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم
رجل منكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فذاك سعد بن معاذ. وكان سعد في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم، في خيمة لآمرأة من أسلم يقال لها: رفيدة، كانت تداوى الجرحى

محتسبة، فأتاه قومه فحملوه على حمار، ووطئوا له بوسادة من أدم، ثم أتوا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وهم يقولون له: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أنى لسعد ألا
تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل، فنعى
لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، لكلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قوموا
إلى سيدكم." فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الأنصار؛ والأنصار يقولون: قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقاموا إليه،
فقالوا: ياأبا عمرو، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم؛
فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم؛ قال:
وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو معرض
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
نعم؛ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذرارى
والنساء. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
سبعة أرقعة.
أي من فوق سبع سموات، ويقال: إن اليهود سألوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ.
والله تعالى أعلم.
قال: ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم الخميس لسبع خلون من
ذي الحجة، وأمر بهم فأدخلوا المدينة، فحبسهم في دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار،
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة، فحفر بها خنادق، وجلس هو
وأصحابه وبعث إليهم فأخرجوا إليه أرسالا، فضربت أعناقهم، وفيهم حي بن أخطب،
وكعب بن أسد، واختلف في عددهم فقيل: كانوا ستمائة أو سبعمائة. وقيل: بين الثمانمائة

والتسعمائة؛ قال: وقالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أرسالا: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفى كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون
الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل!
قال: وأتى بحبي ابن
أخطب، وعليه حلة له فقاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة، لئلا يسلبها،
مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله
ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس فقال: أيها
الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بنى إسرائيل. ثم جلس
فضربت عنقه، فقال جبل بن جوال الثعلبي:

اعمرك ما لام آبن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يبغى العز كل مقلقل

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت: لم
يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تحدث معي، وتضحك ظهرا
وبطنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها:
أين فلانة؟ قالت: أنا والله؛ قلت لها: ويلك! مالك؟ قالت: أقتل؛ قلت: لحدث أحدثته؛
قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: والله ما أنسى عجبا منها، طيب
نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل. قال الواقدي: واسم تلك المرأة: بنانة امرأة
الحكم القرظى؛ وكانت قتلت خلاد بن سويد، طرحت عليه رحى، فضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنقها بخلاد بن سويد. قال: وكان علي بن أبى طالب والزبير بن
العوام رضى الله عنهما يضربان أعناق بنى قريظة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس هناك.
وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي، وكان يكنى أبا عبد
الرحمن - وكان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث أخذه فجز
ناصيته ثم خلى سبيله - فجاءه ثابت يوم قريظة، وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن،

هل تعرفني؟ فقال: وهل يجهل مثلي مثلك؛ قال: إني قد آن أن أجزيك بيدك عندي؛ قال:
إن الكريم يجزي الكريم؛ ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله،
قد كانت الزبير عندي يد، وله علي منة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد وهب لي دمك؛ قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أهله وولده؛ هم لك. فأتاه فقال: إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك وولدك، فهم لك؛ قال: أهل بيت
بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال: يا رسول الله، فقال: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أعطاني مالك فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيه
عذارى الحي، كعب بن أسد؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل سيد الحاضر والبادى حي بن
أخطب؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا كررنا، عزال بن
سموءل؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل المجلسان؟ يعنى بنى كعب بن قريظة، وبني عمرو بن
قريظة؛ قال: ذهبوا وقتلوا؛ قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقتني بالقوم، فو الله
ما في العيش بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قبلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة.
فقدمه ثابت فضرب عنقه. فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأحبة قال: يلقاهم والله في
نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا.
وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس:

وفت ذمتى أني كريم وأنني صبور إذا ما القوم حادوا عن الصبر
وكان زبير أعظم الناس منة علي فلما شد كوعاه بالأسر
أتيت رسول الله كيما أفكه وكان رسول الله بحرا لنا يجري

قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم؛ فسألته سلمى
بنت قيس بن المنذر أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وكانت قد صلت معه القبيلتين، وبايعته بيعة النساء على رفاعة بن سموءل
القرظى، وكان رجلا قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفها، فقالت: يا نبى الله، بأبى أنت وأمي،
هب لي رفاعة بن سموءل، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل. فوهبه لها،
فاستحيته.
قال: ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجمعت، فآصطفى لنفسه ريحانة
بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء عمرو بن قريظة، ثم أخرج الخمس من المتاع والسبى، ثم
أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكانت السهمان على ثلاثة آلاف واثنين
وسبعين سهما، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى محمية بن جزء
الزبيدي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد،
وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة، وهي السقط من متاع البيت.
وقال محمد بن إسحاق: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري
أحد بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فآبتاع له بهم خيلا وسلاحا.
وآستشهد يوم بني قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري
الخزرجي، طرحت عليه رحى فشدخته شدخا شديدا، ومات أبو سنان ابن محصن بن
حرثان، أخو بني أسد بن خزيمة.
وأنزل الله عز وجل في شأن بنى قريظة قوله تعالى: "وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم
وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا" قال: قوله: الذين
ظاهروهم يعنى قريظة ظاهروا قريشا وغطفان من صياصيهم أي حصونهم ومعاقلهم،
واحدتها صيصة وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم الرجال وتأسرون فريقا وهم
النساء والذرارى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها قال يزيد بن رومان
وابن زيد ومقاتل: يعنى خيبر. وقال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس

والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. والله تعالى أعلم.
سرية عبد الله بن عتيك
إلى أبى رافع سلام
ابن أبى الحقيق النضرى بخيبر
قال محمد بن سعد في طبقاته: كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم.
وقال ابن إسحاق: كانت هذه السرية بعد غزوة بني قريظة. فتكون في ذي الحجة سنة
خمس من الهجرة، وهو الصحيح إن شاء الله، ويدل عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد
الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في ذي
الحجة سنة خمس إلى أبى رافع سلام بن أبى الحقيق بخيبر قال محمد بن إسحاق: لما
أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا.
فتذا كروا: من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف؟ فذ كروا
ابن أبى الحقيق، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله، فأذن لهم، فخرج إليه
من الخزرج خمسة نفر، وهم: عبد الله آبن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس،
وأبو قتادة الحارث بن ربعى، وخزاعى بن أسود، حليف لهم من أسلم.
قالوا: وكان أبو رافع بن أبى الحقيق قد أجلب في غطفان ومن حوله من مشركي العرب،
وجعل لهم العظيم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهم عبد الله بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة، فخرجوا حتى قدموا
خيبر فكمنوا، فلما هدأت الرجل جاءوا إلى منزله فصعدوا درجة له، وقدموا عبد الله بن
عتيك لأنه كان يرطن باليهودية، فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية. ففتحت له امرأته،
فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح، فأشار إليها بالسيف فسكتت، فدخلوا عليه فعلوه
بأسيافهم، قال ابن أنيس: وكنت رجلا أعشى لا أبصر، فاتكأت بسيفي على بطنه حتى
سمعت خشه في الفراش، وعرفت أنه قد قضى، وجعل القوم ضربونه جميعا، ثم نزلوا

وصاحت امرأته، فتصايح أهل الدار. قال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن عتيك سئ
البصر، فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئا شديدا، قال ابن هشام: ويقال: رجله؛ قالوا:
فحملناه حتى أتينا منهرا من عيونهم - والمناهر؛ واحدتها منهرة، وهو فضاء يكون بين
أفنية القوم يلقون فيها كناستهم - فدخلنا فيه.
قال محمد بن سعد: وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران،
فلم يروهم، فرجعوا، ومكث القوم في مكانهم يرمين حتى سكن الطلب. قال ابن إسحاق:
فقلنا: فكيف لنا أن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم.
فانطلق حتى دخل في الناس، فوجده ورجال من يهود حوله، وامرأته في يدها مصباح تنظر
في وجهه وتحدثهم وتقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي وقلت:
ابن عتيك بهذه البلاد! ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول: فاظ وإله يهود. قال: فما سمعت
كلمة كانت ألذ في نفسي منها؛ وجاء فأخبرهم بالخبر، قالوا: فاحتملنا صاحبنا، وقدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله،
كلنا يدعيه، فقال: هاتوا أسيافكم. فجئناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله ابن
أنيس: هذا أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام.
قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله في سيرته: وفي حديث
آخر أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وحده، قال: وهو الصواب. والله أعلم.
وقال حسان بن ثابت الأنصاري في سلام بن أبى الحقيق الأشرف:

لله در عصابة لاقيتهم يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل دياركم فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل أمر مجحف

سرية محمد بن مسلمة
إلى القرطاء، وهم بنو قرط
وقريط بن كلاب
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر خلون من المحرم، على رأس تسعة وخمسين

شهرا من مهاجره في ثلاثين راكبا إلى القرطاء، وهم ينزلون بناحية ضرية وبين ضرية والمدينة
سبع ليال، فقتل نفرا منهم، وهرب سائرهم، واستاق نعما وشاء، ولم يعرض للظعن، وانحدر
إلى المدينة، فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به، وفض ما بقى على
أصحابه، فعدلوا الجزور بعشرين من الغنم، وكانت النعم مائة وخمسين بعيرا، والغنم ثلاثة
آلاف شاة. وغاب سبع عشرة ليلة، وقدم لليلة بقيت من المحرم.

غزوة بنى لحيان
بناحية عسفان

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره على ما
أورده محمد بن سعد. وقال محمد بن إسحاق: في جمادى الأولى سنة ست.
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على عاصم بن ثابت وأصحابه أصحاب
الرجيع - وجدا شديدا، فأظهر أنه يريد الشام.
قال ابن سعد: وعسكر لغرة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل، معهم عشرون فرسا،
واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع المسير حتى انتهى إلى بطن غران،
وبينها وبين عسفان خمسة أميال، حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم،
فسمعت بهم بنو لحيان، فهربوا في رءوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوما أو
يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، فلم يقدروا على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، ثم
انصرف صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وهو يقول: "آيبون تائبون عابدون، لربنا
حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال." وغاب
عن المدينة أربع عشرة ليلة.

غزوة الغابة
وهي غزوة ذي قرد

وهي على بريد من المدينة في طريق الشام
غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجره.
قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ست من أبو ذر فيها،

فأغار عيينة بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارسا فآستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر.
وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل وحملوا المرأة في
اللقاح. وجاء الصريخ، فنودى: الفزع الفزع! فنودى: ياخيل الله اركبي وكان أول مانودى
بها؛ وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج غداة الأربعاء، فكان أول من أقدم
المقداد بن عمرو، وعليه الدرع والمغفرة شاهرا سيفه، فعقد له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لواء في رمحه، وقال: امض حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك. واستخلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة في
ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة. قال المقداد: فخرجت فأدركت أخريات العدو، وقد قتل
أبو قتادة الحارث بن ربعى حبيب بن عيينة بن حصن، وغشاه برده، فلما أقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس، فرأوا حبيبا مسجى ببرد أبى قتادة فاسترجع الناس،
وقالوا: قتل أبو قتادة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس بأبى قتادة، ولكنه قتيل
لأبى قتادة وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه.
وقال ابن سعد: إن الذي قتل حبيبا هو المقداد بن عمرو، قتله وقتل قرفة بن مالك بن
حذيفة بن بدر؛ وإن أبا قتادة مسعدة، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه
وسلاحه، وأدرك عكاشة بن محصن أو بارا وابنه عمرو بن أو بار، وهما على بعير واحد
فقتلهما. واستشهد من المسلمين يومئذ محرز بن نضلة، قتله مسعدة، وأدرك سلمة بن
الأكوع القوم وهو على رجليه، فجعل يراميهم بالنبل ويقول:
خذها وآنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع
حتى انتهى إلى ذي قرد - وهي ناحية خيبر مما يلي المستناخ - قال سلمة: فلحقنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والناس والخيول عشاء، يا رسول الله، إن القوم عطاش، فلو
بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح، وأخذت بأعناق القوم. فقال النبي
صلى الله عليه وسلم: "ملكت فأسجح" ؛ ثم قال: "إنهم الآن ليقرون في غطفان." وذهب

الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتى والرجال على أقدامهم
وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد، فاستنفذوا عشر
لقاح، وأفلت القوم بما بقى، وهي عشرة، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي قرد
صلاة الخوف، وأقام يوما وليلة يتحسس الخبر، وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا
ينحرونها، وكانوا خمسمائة، وقيل: سبعمائة.

سرية عكاشة
بن محصن إلى الغمر

غمر مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد
قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلا،
فخرج سريعا، فنذر به القوم فهربوا، فنزلوا عليا بلادهم، ووجدوا دارهم خلوفا، فبعث
عكاشة شجاع بن وهب طليعة، فرأى أثر النعم، فتحملوا فأصابوا ربيئة لهم، فأمنوه،
فدلهم على نعم لبنى عم له، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير، وأرسلوا الرجل، وحدروا
النعم إلى المدينة، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا.

سرية إلى بني ثعلبة
بذي القصة

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة، وهم بذي
القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجره، وبين ذي القصة وبين المدينة أربعة
وعشرون ميلا، طريق الربذة، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم ليلا فأحدق به القوم وهم
مائة رجل، فتراموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم، ووقع محمد
بن مسلمة جريحا، يضرب كعبه فلا يتحرك، وجردوهم من الثياب، ومر رجل من المسلمين
بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا
عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحدا، ووجدوا نعما وشاء،
فساقه ورجع.

سرية أبى عبيدة
بن الجراح إلى ذي القصة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجره في أربعين
رجلا من المسلمين، وسبب ذلك أن بلاد بني ثعلبة وأنمار أجدبت، ووقعت سحابة
بالمراض على ستة وثلاثين ميلا من المدينة، فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك
السحابة، واجتمعوا أن يغيرا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفا - موضع على سبعة أميال
من المدينة - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومن معه حين صلوا
المغرب، فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح - وهي موضع في طريق
العراق - فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا في الجبال، وأصاب رجلا واحدا فأسلم فتركه،
وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورثة من متاعهم. وقدم المدينة بذلك، فخمسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وقسم ما بقى عليهم.

سرية زيد بن حارثة
إلى بني سليم بالجموم

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في شهر ربيع الآخر سنة ست
من الهجرة إلى بني سليم، فسار هو ومن معه حتى ورد الجموم - ناحية بطن نخل عن
يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة برد - فأصابوا عليه امرأة من مزينة يقال لها:
حليمة؛ فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا فيها نعما وشاء وأسرى، فكان فيهم
زوج حليمة المزنية، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم للمزينة نفسها وزوجها، فقال بلال ابن الحارث المزنى في ذلك:

لعمرك ما أخنى المسول ولا ونت حليمة حتى راح ركبهما معا

سرية إلى العيص
لعير قريش

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جمادى الأولى سنة ست من
مهاجره في سبعين ومائة راكب إلى العيص - وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي
المروة ليلة - وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن عيرا لقريش قد أقبلت من
الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان

بن أمية، وأسروا ناسا ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة،
فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجارته، ونادت في
الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر: إني قد أجرت أبا العاص. فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما علمت بشئ من هذا قد أجرنا من أجرت. ورد
عليه ما أخذ له لكا تقدم.

سرية إلى الطرف
إلى بني ثعلبة

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جمادى الآخرة سنة ست من
مهاجره إلى الطرف - وهو ماء قريب من المراض، دون النخيل، على ستة وثلاثين ميلا من
المدينة، طريق البقرة على المحجة - فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فأصاب نعما
وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيرا، ولم يلق كيدا،
وغاب أربع ليال، شعارهم أمت أمت.

سرية إلى حسمى

وهي وراء وادى القرى.

قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسمى في جمادى الآخرة
أيضا، وذلك أن دحية بن خليفة الكلبى أقبل من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه، وقد أجازه وكساه، ودحية تجارة له، حتى إذا
كان بواد يقال له: شنار أو شنان؛ أغار عليه الهنيد بن عارض، وقيل: ابن عوص؛ وآبنه
عارض بن الهنيد، وقيل: عوص ابن الهنيد؛ الضلعيان في ناس من جذام بحسمى، فقطعوا
عليه الطريق وأخذوا ما معه، فلم يتركوا عليه إلا سمل ثوب، فسمع بذلك نفر من بنى
الضبيب - رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب - فنفروا إلى الهنيد وابنه، وفيهم
من بنى الضبيب النعمان بن أبى جعال حتى لقوهم فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر
الضفارى ثم الضلعى، فقال: أنا ابن لبنى؛ ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته، وقال:
خذها وأنا ابن لبنى؛ ولبنى أمه، ثم استنفذوا لدحية متاعه، وقدم دحية على رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه
دحية، فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل من بنى عذرة، فأقبل بهم حتى هجم
بهم مع الصبح على القوم، فأغاروا عليهم، فقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهنيد وابنه،
وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن النساء
والصبيان مائة، فرحل رفاعة بن زيد الجذامى في نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فدفع إليه كتابه الذي كان له كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم، وقال: يا رسول
الله، لا تحرم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما.
فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقال أبو يزيد بن عمرو: يا رسول الله، أطلق لنا من كان حيا،
ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق أبو يزيد؛
فبعث معهم عليا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فتوجه علي
رضى الله عنه، فلقى رافع بن مكيث الجهني بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم،
فردها علي عليهم، ولقى زيدا بالفحلتين - وهي بين المدينة وذي المروة - فأبلغه أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فرد عليهم كل ما كان أخذ منهم.

سرية إلى وادي القرى

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن
حارثة إلى وادي القرى أميرا في شهر رجب سنة ست من الهجرة. ولم يذكر غير ذلك.

سرية إلى دومة الجندل

قال محمد بن سعد رحمه الله: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن
عوف رضى الله عنه في شعبان سنة ست من مهاجره، فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال:
اغز بسم الله، وقاتل في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغل ولا تغدر، ولا تقتل وليدا.
وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم. فسار عبد
الرحمن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن
عمرو الكلبي، وكان نصرانيا وهو رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام

منهم على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة، وهي أم
أبى سلمة بن عبد الرحمن.
سرية إلى بني سعد
بن بكر بفدك
قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبى طالب رضى الله عنه في شعبان
سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بفدك في مائة رجل، وذلك أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلغه أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فسار علي رضى الله عنه
بمن معه، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج - وهو ماء بين خيبر وفدك
والمدينة ست ليال - فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم فقال: أخبركم على أن تؤمنونى؟
فأمنوه فدلهم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن
ورأسهم وبر بن عليم، فعزل علي رضى الله عنه صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم:
لقوحا تدعى الحفدة، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلق
كيدا.
سرية وادي القرى
وقتل أم قرفة
كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وذلك أن زيد بن الحارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فلما كان دون وادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر، فضربوه
وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبل زيد بن حارثة، وقدم على النبي صلى
الله عليه وسلم، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم.
حكاه محمد في طبقاته.
وقال محمد بن إسحاق: إن الذي أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادي القرى، فإنه
أصيب بها ناس من أصحابه، وارتث زيد من بين القتلى، ولعل هذه السرية هي التي كانت
في شهر رجب من السنة.
قال ابن سعد: فخرج زيد بن حارثة بمن معه فكمنوا النهار وساروا الليل، ونذرت بهم بنو

بدر، ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة
بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، فكان الذي أخذ الجارية
سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فوهبها صلى الله عليه وسلم
لحزن بن أبى وهب، قال: وعمد قيس ابن المحسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فربط بين
رجليها حبلا، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها، وقتل النعمان وعبد الله
ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب
النبي صلى الله عليه وسلم فقام إليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما
ظفره الله به.

سرية عبد الله بن رواحة
إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك
أنه لما قتل أبو رافع سلام بن أبى الحقيق كما ذكرنا أمرت يهود عليها أسير بن رزام، فسار في
غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجه عبد الله بن رواحة
في ثلاثة نفر من المسلمين في شهر رمضان سرا سأل عن خبره وغرته، فأخبر بذلك، فقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك، فندب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس، فانتدب له ثلاثون رجلا، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير
فقالوا له: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؛ قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك؛ قالوا:
نعم؛ فقالوا له: إن رسول الله صلى الله عله وسلم بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على
خيبر ويحسن إليك. فطمع أسير في ذلك، فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود، مع كل
رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كانوا بقرقرة ثبار ندم أسير، قال عبد الله ابن أنيس -
وكان في السرية: فأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له ودفعت بعيرى فقلت: غدرا أي عدو
الله! فعل ذلك مرتين، فنزلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف،

فأندرت عامة فخذه وساقه، وسقط عن بعيره وبيده محرش من شوحط، فضربنى به
فشجنى مأمومة، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا، ولم
يصب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه
الحديث، فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين.
وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذه.
سرية كرز بن جابر
الفهرى إلى العرنيين
كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا:
قدم نفر من عرينة ثمانية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا واستوبؤا المدينة،
فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه، وكانت ترعى بذي الجدر - ناحية
قباء قريبا من عير، على ستة أميال من المدينة - فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا، فعدوا
على اللقاح فاستاقوها، فأدركهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر،
فقاتلهم، فقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخبر، فبعث في أثرهم عشرين فارسا، واستعمل عليهم كرز بن جابر
الفهرى، فأدركوهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا
بهم المدينة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فلقوه
بالزغابة بمجتمع السيول، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم، وصلبوا
هنالك. وأنزل الله تعالى على رسوله:"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من
الأرض." فلم يسمل بعد ذلك عينا، وكانت اللقاح خمس عشرة لقحة غزارا فردوها إلى
المدينة، ففقد منها لقحة تدعى الحناء، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقيل:
نحررها.
سرية عمرو بن أمية
الضمرى وسلمة بن أسلم

إلى أبى سفيان بن حرب بمكة
قال محمد بن سعد في طبقاته: وذلك أن أبا سفيان بن حرب
قال لنفر من قريش: ألا أحد
يغتر محمدا في الأسواق؟ فأتاه رجل من الأعراب فقال: قد
وجدت أجمع الرجال قلبا،
وأشده بطشا، وأسرعه شدا، فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى
أغتاله، ومعي خنجر مثل
خافية النسر؛ قال: أنت صاحبنا؛ فأعطاه بعيرا ونفقة، وقال:
اطو أمرك؛ فخرج ليلا فسار
على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة، ثم أقبل
فسأل عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى دل عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في مسجد بنى عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال: "إن هذا
ليريد غدرا." فذهب ليجنى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فجذبه أسيد بن
الحضير بداخله إزاره، فإذا بالخنجر، فسقط في يده، وقال: دمى
دمى! وأخذ أسيد بلبته
فدعته، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصدقني، ما
أنت؟" قال: وأنا آمن؟
قال: نعم؛ فأخبره بخبره، فخلى عنه صلى الله عليه وسلم.
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى،
وسلمة بن أسلم ابن أبى
حريس إلى أبى سفيان بن حرب، وقال: إن أصبتما منه غرة
فاقتلاه؛ فدخلا مكة، ومضى
عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا، فرآه معاوية بن أبى سفيان
فعرفه، وأخبر قريشا بمكانه،
فخافوه وطلبوه، وكان فاتكا في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو
لخير؛ فحشد له أهل مكة
وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقى عمرو عبيد الله ابن مالك
بن عبد الله التميمي فقتله
وقتل آخر من بنى الديل، سمعه يتغنى ويقول:
ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمينا
ولقى رسولين لقريش بعثتهما يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما
وأسر الآخر فقدم به المدينة
فجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله
يضحك هكذا حكى محمد بن
سعد.
وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث

عمرو بن أمية الضمرى، ومعه جبار بن صخر الأنصاري، وذلك بعد مقتل خبيب بن عدى
وأصحابه، قال: فخرجا حتى قدما مكة، وحبسا جمليهما بشعب من شعاب يأجج، ثم
دخلا مكة ليلا، فقال جبار بن صخر لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؛ قال
عمرو: فطفنا وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فو الله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل
فعرفنى، فقال: عمرو بن أمية، والله إن قدمها إلا لشر؛ فقلت لصاحبى: النجاء؛ فخرجنا
نشتد حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا، فدخلنا
كهفا في الجبل فبتنا، وقد رضمنا دوننا حجارة، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود
فرسا له، فغشينا ونحن في الغار، فقلت: إن رآنا صاح بنا فتؤخذ فنقتل؛ قال: فخرجت إليه
فضربته على ثدييه بخنجر كنت قد أعددته لأبى سفيان، فصاح صيحة أسمع أهل مكة،
ورجعت فدخلت مكانى، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق، فقالوا: من ضربك؟
قال: عمرو بن أمية. ومات لوقته، ولم يدل علينا، فاحتملوه، فقلت لصاحبي لما أمسينا:
النجاء؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب،
فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة لقلت هو
عمرو؛ قال: فلما حاذى عمرو الخشبة شد عليها واحتملها، خرجا شدا، وخرجوا وراءه،
حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج، فرمى بالخشبة في الجرف، فغيبه الله عنهم، فلم يقدروا
عليه. قال عمرو: وقلت لصاحبي: النجاء، حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإني سأشعل
عنك القوم؛ قال: ومضيت حتى خرجت على ضجنان، ثم أويت إلى جبل فدخلت كهفا،
فبينا أنا فيه إذ دخل على شيخ من بنى الديل أعور، في غنيمة له؛ فقال: من الرجل؟
قلت: من بنى بكر، فمن أنت؟ قال: من بنى بكر؛ فقلت: مرحبا؛ فاضطجع، ثم رفع
عقيرته فقال:

ولست بمسلم ما دمت حيا ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي: ستعلم؛ فأمهلته حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه

الصحيحة، ثم تحاملت عليها حتى بلغت العظم، ثم خرجت حتى جئت العرج، ثم
سلكت ركوبة، حتى إذا هبطت النقيع إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش
بعثتهما عينا إلى المدينة يتحسسان؛ فقلت: استأسرا؛ فأبيا، فرميت أحدهما بسهم فقتلته،
ثم استأسر الآخر فأوثقه رباطا، وقدمت به المدينة.
ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السرية، في أي شهر كانت، فأذكره.
غزوة الجديبية
وما وقع فيها من بيعة الرضوان
ومهادنة قريش وغير ذلك
كانت غزوة الحديبية في ذي الحجة سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم.
قال محمد بن سعد: استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى العمرة،
فأسرعوا وتهيئوا، ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين، وركب راحلته القصواء
وخرج، وذلك يوم الثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.
وقال ابن إسحاق: استعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي. قال ابن سعد: ولم يخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم معه بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القرب، وساق
بدنا وساق أصحابه بدنا، فصلى الظهر بذي الحليفة: ثم دعا بالبدن التي ساق فجللت، ثم
أشعرها في الشق الأيمن وقلدها، وأشعر أصحابه أيضا، وهي موجهات إلى القبلة، وهي
سبعون بدنة، فيها جمل أبى جهل الذي غنمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر،
وأحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبى، وقدم عباد بن بشر أمامه طليعة في عشرين
فارسا من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه صلى الله عليه
وسلم من المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل: ألف وستمائة؛ ويقال: ألف
وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلا؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضى الله عنها،
وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام، وعسكروا ببلدح

وقدموا مائتي فارس إلى كراع الغميم، عليهم خالد بن الوليد، ويقال: عكرمة ابن أبى جهل.
قال محمد بن إسحاق: قال الزهرى: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان لقيه
بشر بن سفيان الكعبى - قال ابن هشام: ويقال: بسر - فقال: يا رسول الله، هذه قريش
قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي
طوى، يعاهدون الله ألا ندخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها
إلى كراع الغميم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا ويح قريش! لقد أكلتم الحرب،
ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن
أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟
والله لا أزال أجاهد على الذي بعثى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة." قال
محمد بن سعد: ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحابه رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عباد بن بشر فتقدم في خيلة، فأقام بإزائه وصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، فصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف، فلما أمسى صلى الله عليه
وسلم قال لأصحابه: تيامنوا في هذا الموضع العضل - موضع منعطف في الوادى – فإن
عيون قريش بمر الظهران وبضجنان. فسار حتى دنا من الحديبية، وهي طرف الحرم على
تسعة أميال من مكة، فوقفت يدا راحلته على ثنية تهبط على غائظ القوم، فبركت.
وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبى في تفسيره: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عينه الخزاعي، فقال: إني تركت كعب بن
لؤي وعامر بن لؤي قد جمعا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت؛ فقال النبي
صلى الله عليه وسلم: أشيروا علي، أترون أن نميل على ذرارى هؤلاء الذين عاونوهم
فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن يجيئوا تكن عنقا قطعها الله، أو ترون أن نؤم

البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ فقام أبو بكر رضى الله عنه
فقال: يا رسول الله، إنا لم نأت
لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه. فقال النبي
صلى الله عليه وسلم:
فروحوا إذا؛ حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي،
وذكر من قوله ومن جواب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قدمناه إلى قوله: أو تنفرد
هذه السالفة. ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: من رجل يخرج بنا على طريق غير
طريقهم التي هم بها؟ فقال
رجل من أسلم: أنا يا رسول الله. فخرج بهم على طريق وعر
حزن بين شعاب، فلما
خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى سهلة
عند منقطع الوادي، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا: نستغفر الله ونتوب
إليه. ففعلوا، فقال: والله إنها
للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقبلوها؛ ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس: اسلكوا ذات اليمين، في طريق يخرجه على ثنية المرار
على مهبط من أسفل مكة،
فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش،
وأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش
ينذرونهم، وسار رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المرار بركت به ناقته،
فقال الناس: حل حل؛
فقال: ما حل؛ قالوا: خلات القصواء؛ فقال صلى الله عليه
وسلم: "ما خلأت وماذاك لها
بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل؛ ثم قال: والذي نفسي بيده لا
تدعونى قريش إلى خطة
يعظمون بها حرمات الله، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها"؛
ثم قال للناس: انزلوا فنزلوا
بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا،
فلم يلبث الناس أن نزحوه،
فشكا الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم العطش، فنزع
سهما من كنانته وأعطاه رجلا
من أصحابه، يقال له: ناجية بن عمير بن يعمر بن دارم، وهو
سائق بدن رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فنزل في تلك البئر فغرزه في جوفها فجاش
الماء بالري، حتى صدروا عنه؛
ويقال: إن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية في القليب
يميح على الناس، فقالت:

يأيها المائح دلوى دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا
يثنون خيرا ويمجدونكا أرجوك للخير كما يرجونكا
فقال ناجية:
قد علمت جارية يمانية أني أنا المائح وآسمي ناجية
وطعنة ذات رشاش واهية طعنتها تحت صدور العادية
قال ابن إسحاق: ناجية بن جندب بن عمير الأسلمي؛ قال: وزعم بعض أهل العلم أن
البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال
محمد بن إسحاق والثعلبي: روى عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن محرمة
ومروان بن الحكم: فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء
الخزاعي في نفر من قومه، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر ابن لؤي قد نزلا أعداد مياه الحديبية،
معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم:
إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم،
فإن شاءوا ماددناهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما
دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، فو الله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي،
أو لينفذن الله أمره. قال بديل: سنبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا فقال: إنا قد
جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولا، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال
سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشئ؛ وقال ذوو الرأي منهم: هات كما سمعته
يقول؛ قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال
لهم: إنه يأت لقتال، وإنما جاء زائرا لهذا البيت. فاتهموه وجبهوه وقالوا: إن كان جاء ولا
يريد قتالا فو الله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، ولا يحدث بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه
مكرز بن حفص بن الأخيف أخا بنى عامر ابن لؤي، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقبلا قال: هذا رجل غادر.
وفي رواية: فاجر. فلما انتهى إليه وكلمة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما

قال لبديل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي صلى الله عليه
وسلم، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو
أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدى يسيل عليه من
عرض الوادي في قلائده، قد أكل أو باره من طول الحبس عن محله رجع إلى قريش ولم يصل
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى، فقال لهم ذلك؛ فقالوا له: يا حليس،
إنما أنت أعرابي لا علم لك؛ فقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على
هذا عاهدناكم، أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن
بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد؛ فقالوا له: مه، كف عنا يا
حليس، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به؛ قال: ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي، فقال لهم: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقى
منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد
وأني ولد - وكان عروة ليبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من
أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم.
فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت
أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتلفضها بهم؟ يا محمد، أرأيت إن استأصلت
قومك فهل سمعت بأحد من العرب أصله قبلك؟ وإنها قريش قد خرجت معها العوذ
المطافيل، قد لبسوا جلود النمور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وإني لأرى
وجوها وأوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك، وايم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا
غدا عنك. وأبو بكر الصديق رضى الله عنه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاعد، فقال لعروة: امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ - واللات طاغية ثقيف التي

كانوا يعبدونها - فقال: من هذا ابن أبى قحافة؛ قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي
لكافأتك بها. قال: ثم يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه، والمغيرة بن
شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد، فجعل يقرع يده إذا
تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل ألا تصل إليك؛ قال: فيقول عروة: ويحك! ما أفظك وما أغلظك! قال:
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: "هذا ابن
أخيك المغيرة بن شعبة" قال: أي غدر، وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس؟ - وكان المغيرة
بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف، صحبهم فقتلهم وأخذ
أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما الإسلام فقد قبلناه،
وأما المال فإنه مال غدر، ولا حاجة لنا فيه." قال: ولما قتلهم المغيرة تهايج الحيان من
ثقيف: رهط القتلى ورهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك
الأمر، فلذلك قال للمغيرة ما قال - قال: ثم كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة
بنحو ما كلم به أصحابه، فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رأى ما
يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه، ولا يسقط
من شعره شئ إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون النظر إليه
تعظيما له. فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، والله لقد وفدت على الملوك؛ وفدت
على قيصر في ملكة، وكسرى في ملكة، والنجاشي في ملكة، وإني والله ما رأيت ملكا في
قومه قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في
كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا
يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يحدون النظر إليه تعظيما
له، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشئ أبدا، فروا رأيكم.
وفي رواية قال: وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي إلى
قريش بمكة، وحمله على بعير يقال له: الثعلب، ليبلغ أشرافهم ما قد جاء له، فعقروا الجمل
وأرادوا قتل خراش، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله. قال: وبعثت قريش أربعين رجلا
منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم
من أصحابه أحدا، فأخذوا وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم، وخلى
سبيلهم، وكانوا رموا في العسكر بالحجارة والنبل. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له،
فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من بنى عدي بن كعب
أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز
بها مني، عثمان بن عفان، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثه إلى أبى سفيان
ابن حرب وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما
لحرمته. فخرج حتى أتى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن
يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما
فرغ عثمان من الرسالة قال له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف؛ فقال: ما كنت لأفعل
حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قتل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا نبرح
حتى نناجز القوم". ودعا الناس إلى البيعة.

بيعة الرضوان

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، قال الثعلبى: وكانت سمرة. قال: وكان سبب هذه
البيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن عثمان بن عفان قتل قال: "لانبرح
حتى نناجز القوم"؛ ودعا الناس إلى البيعة، قال: فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الموت. وقال عبد الله ابن مغفل: كنت قائما على رأس رسول

الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وبيدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس،
فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ألا يفروا. قال جابر بن عبد الله: فبايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس
أخو بنى سلمة، لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته، مستترا بها عن الناس.
وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من بنى أسد يقال له: أبو سنان ابن وهب. ثم أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل. واختلف في عدد
أهل بيعة الرضوان، وهو مبنى على الأختلاف في عدد أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم،
لم يتخلف منهم إلا الجد بن قيس، قالوا: ولما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى. روى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمر
بن الخطاب رضى الله عنهما، فسأله عن عثمان رضى الله عنه، أكان شهد بدرا؟ قال:
لا؛ قال: أكان شهد بيعة الرضوان؟ قال: لا؛ قال: فكان من الذين تولوا يوم التقى الجمعان؟
قال: نعم. قال: فانطلق الرجل؛ فقيل لعبد الله بن عمر: إن هذا يرى أنك قد عبته، قال:
علي به؛ فأتى به فقال: أما بدر فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب له بسهمه
وأجره؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير من يد عثمان، وأما الذين تولوا يوم آلتقى الجمعان فقد عفا الله
عنهم، فاجهد علي جهدك.
وأنزل الله عز وجل في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة قوله تعالى:
"إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم." قال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم
فوق ما صنعوا من البيعة. وقال ابن كيسان: قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم. ثم قال
تعالى: "فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا
عظيما" وهو الجنة. وقوله تعالى في السورة أيضا: "لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك

تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم" من الصدق والوفاء "فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا
قريبا."
قيل: فتح خيبر؛ روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال: "لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة."
هدنة قريش
وما وقع فيها من الشروط
قال: ثم بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو أخا بنى عامر
بن لؤي، فقالوا: إيت محمدا فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا. فأتاه
سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "قد سهل أمركم، القوم
ماتون إليكم بأرحامهم، وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهدى وأظهروا التلبية، لعل ذلك يلين
قلوبهم." فلبوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية، قال: وانتهى سهيل بن
عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلم فأطال، وتراجعا، ثم جرى الصلح
بينهما، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى
بكر الصديق رضى الله عنه فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله صلى الله عليه وسلم
حقا؟ قال: بلى؛ قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى؛ قال: أو ليسوا المشركين؟ قال: بلى؛
قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس نعصي
رأيه، فاستمسك بغرزه حتى تموت، فو الله إنه لعلى الحق؛ قال عمر: أو ليس كان يحدثنا أنا
سنأتي البيت نطوف به؟ قال: بلى؛ أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا؛ قال: فإنك آتيه
ومطوف به. قال: ثم جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ألست رسول
الله؟ قال: بلى؛ قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى؛ قال: فلم نعطي
الدنية في ديننا إذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني رسول الله ولست أعصيه
وهو ناصري." وفي رواية قال: "إني عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني." قال
عمر: ألست تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: "بلى، هل أخبرتك أنك تأتيه

العام؟" قال عمر: لا؛ قال: "فإنك آتيه ومطوف به." قال عمر: والله ما شككت منذ
أسلمت إلا يومئذ، فما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتنق من صنعت يومئذ مخافة
كلامى الذي تكلمت به حتى رجوت خيرا. قالوا: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فقال: "اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم؛" فقال
سهيل: أما الرحمن فلا أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، قال
المسلمون: لا والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "اكتب: باسمك اللهم" فكتبها، ثم قال: "اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
سهيل بن عمرو." فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت،
ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"والله إني لرسول الله وإن كذبتموني؛" ثم قال لعلي: امح رسول الله. فقال: والله لا أمحوك
أبدا. فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يحسن يكتب فمحاه؛ ثم قال:
"اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع
الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أنه من
قدم مكة من أصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على نفسه
وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام، يبتغي من فضل الله فهو آمن
على دمه وماله، وعلى أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش بغير إذن
وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه."
فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جاءهم منا فأبعده
الله، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجا." وأن
بيتنا عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد
وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه." فتواثبت

خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قرش
وعهدهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت
فنطوف به." فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنك أخذتنا ضغطة، ولكن لك ذلك من
العام المقبل؛ فكتب: وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عام
قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا، ولا تدخلها بالسلاح إلا
السيوف في القرب، وسلاح الراكب، وعلى أن هذا الهدى حيثما حبسناه محله، لا تقدمه
علينا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نحن نسوقه وأنتم تردون وجوهه"! قال:
فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو
جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى
بنفسه بين أظهر المسلمين، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه،
وقال: يا محمد، قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، وهذا أول من أقاضيك
عليه أن ترده إلينا؛ ثم جعل يجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا
معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ليفتنوني عن ديني؟ ألا ترون ما قد
لقيت؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله تعالى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"يا أبا جندل، احتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، إنا
قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا، وأعطيناهم على ذلك عهدا، وإنا لا نغدر." قال:
فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبى جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا
جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب - ويدنى قاتم السيف منه - قال:
يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضن الرجل بأبيه.
قال: وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح،
لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى

كادوا يهلكون، وزادهم أمر أبى جندل شرا إلى ما بهم، قالوا: فلما فرغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الكتاب، وفرغت القضية أشهد على الصلح رجالا من المسلمين
ورجالا من المشركين: أبا بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن
عمرو، وسعد بن أبى وقاص، ومحمود بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل، ومكرز بن حفص
بن الأخيف، وهو مشرك، وعلي بن أبى طالب، وكان هو كاتب الصحيفة. قال: فلما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضيته سار مع الهدى، وسار الناس، فلما كان الهدى
دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية عرض له المشركون، فردوا وجوهه، فوقف النبي
صلى الله عليه وسلم حيث حبسوه، وهي الحديبية، وقال لأصحابه: " قوموا فانحروا، ثم
احلقوا." قال: فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات؛ فلما لم يقم منهم أحد
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقى من الناس؛
فقالت له أم سلمة رضى الله عنها: يا نبي الله، اخرج ولا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر
بدنتك، وتدعو حلاقك فيحلقك. فقام صلى الله عليه وسلم فخرج فلم يكلم أحدا منهم
كلمة حتى نحر بدنته ودعا حلاقه فحلقه، وكان الذي حلقه ذلك اليوم خراش بن أمية بن
الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد
بعضهم يقتل بعضا غما. قال عبد الله آبن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم:
حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يرحم الله
المحلقين." قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: "يرحم الله المحلقين"؛ قالوا: يا رسول الله،
والمقصرين؟ قال: "يرحم الله المحلقين؛" قالوا يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: "يرحم الله
المقصرين" قالوا: يا رسول الله، فلم ظاهرت الترحم على المحلقين دون المقصرين؟ قال:
"لأنهم لم يشكوا." قال ابن عمر: وذلك أنه تربص قوم قالوا: لعلنا نطوف بالبيت.

رجوع الرسول إلى المدينة
ونزول سورة الفتح

قال الزهري: وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا حتى كان
بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح: "إنا فتحنا لك فتحا مبينا."
روى قتادة عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حيل بيننا وبين نسكنا، فنحن
بين الحزن والكآبة، فأنزل الله عز وجل: "إنا فتحنا لك فتحا مبينا."
الآية كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أنزلت على آية هي أحب إلى من
الدنيا كلها." وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في
بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلا، فسأله عمر عن شئ فلم
يجبه، قال عمر رضى الله عنه: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن
يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه، فقال: "لقد
أنزلت على الليلة آية لهى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس." ثم قرأ: "إنا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأحر." وقد اختلف في الفتح، ما هو؟ فقال
قتادة عن أنس: فتح مكة، وقال مجاهد والعوفى: فتح خيبر، وقال آخرون: فتح الحديبية،
ويدل عليه ما روى عن مجمع بن جارية الأنصاري، - وكان أحد الذين قرءوا القرآن - قال:
شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون
الأباعر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أوحى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم. قال: فخرجنا نوجف، فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته
عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: "إنا فتحنا لك فتحا مبينا" فقال عمر: أو فتح
هو يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح. وقال الشعبى رحمه الله: فتح
الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدى محله،
وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال مقاتل بن
حيان: يسرنا لك يسرا بينا.
وقال مقاتل بن سليمان: لما نزل قوله تعالى: "وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم".

فرح بذلك المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به وبأصحابه، ما
أمرنا وأمره إلا واحد؛ فأنزل الله عز وجل بعد ما رجع من الحديبية: "إنا فتحنا لك فتحا
مبينا" أي قضينا لك قضاء بينا "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" فنسخت هذه
الآية تلك. قال سفيان الثوري: "ما تقدم من ذنبك" ما عملت في الجاهلية وما تأخر كل
شئ لم يعمله. وقال عطاء بن أبى مسلم الخراساني: ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبو يك آدم
وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك. وقال الزيادي: أي لو كان لك ذنب قديم أو
حديث لغفرناه. ويتم نعمته عليك أي بالنبوة والحكمة ويهديك صراطا مستقيما أي ويثبتك
عليه، وقيل: يهدى بك، وينصرك الله نصرا عزيزا غالبا، وقيل: معزا.
قوله تعالى: "هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم،" قال
الثعلبي: أي الرحمة والطمأنينة. قال ابن عباس رضى الله عنهما: بعث الله عز وجل نبيه
عليه السلام بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم
الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم زادهم الجهاد، ثم أكمل
لهم دينهم، فذلك قوله عز وجل: "ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم" أي تصديقا بشرائع الإيمان مع
تصديقهم بالإيمان. وقال الضحاك: يقينا مع يقينهم. وقال الكلبى: هذا في أمر الحديبية.
وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ على
الناس قوله: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأحر" قالوا: هنيئا مريئا يا رسول الله، قد
بين الله ما يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: "ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها
الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما" ثم قال تعالى
"ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء" إن لم ينصر
محمد والمؤمنون "عليهم دائرة السوء" بالذل والعذاب "وغضب الله عليهم ولعهم وأعد لهم
جهنم وساءت مصيرا" إلى قوله: "وتحسبوه بكرة وأصيلا" ثم ذكر الله تعالى قصة البيعة،

وقد تقدمت.
ثم قال تعالى: "سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم
نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا" قال ابن عباس ومجاهد: يعنى أعراب غفار ومزينة
وجهينة وأشجع وأسلم والديل، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد السير
إلى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي، ليخرجوا
معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، وأحرم هو صلى الله عليه
وسلم بالعمرة وساق معه الهدى، ليعلم الناس أنه لا يريد حربا، فتثاقل عنه كثير من
الأعراب وقالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ فتخلفوا عنه
واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى: "سيقول لك المخلفون"، أي إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم
على التخلف عنك شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ثم كذبهم في اعتذارهم
واستغفارهم، وأخبر عن إسرارهم وإضمارهم، فقال: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.
قوله تعالى: "بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم
وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا" وذلك أنهم قالوا: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، فلا
يرجعون، فأين تذهبون؟ انتظروا ما يكون من أمرهم. وكنتم قوما بورا أي هالكين
فاسدين، لا تصلحون لشئ من الخير. قال تعالى: "ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا
للكافرين سعيرا."
قوله تعالى: "سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن
يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذ لكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا
يفقهون إلا قليلا" قال: المخلفون أي عن الحديبية إذا انطلقتم إلى مغابم يعنى غنائم خيبر
ذرونا نتبعكم أي خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها "يريدون أن يبدلوا كلام الله" معناه يريدون
أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر

عوضا عن غنائم أهل مكة، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئا. وقال ابن
زيد: هو قوله عز وجل: "فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن
تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا" قال: والأول أصوب، لأن قوله تعالى: "لن تخرجوا
معي أبدا" نزلت في غزوة تبوك. قال: "كذ لكم قال الله من قبل" أي من قبل مرجعنا
إليكم: إن غنيمة خيبر لمن شهدا لحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب: "فسيقولون بل
تحسدوننا" أي نصيب معكم من الغنائم.
قوله تعالى: "قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو
يسلمون،" قال ابن عباس وعطاء بن أبى رباح وعطاء الخراسانى وعبد الرحمن بن أبى ليلى
ومجاهد: هم فارس. وقال كعب الأخبار: الروم.
وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: هوازن. وقال سعيد بن جبير: هوازن
وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري ومقاتل: بنو حنيفة أهل
اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. وقال رافع بن خديج: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما
مضى: "ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد" ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر رضى الله
عنه إلى قتال بنى حنيفة فعلمنا أنهم هم.
قوله تعالى: "فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم
عذابا أليما" قال آبن عباس رضى الله عنهما: لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: فكيف
بنا يا رسول؟ فأنزل الله عز وجل: ليس على الأعمى حرج يعني عن التخلف عن الجهاد
والقعود عن الغزو ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج يعنى في ذلك ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما.
ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم برضاه عن أهل بيعة الرضوان، فقال تعالى:
"لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحد الشجرة،" وقد تقدم ذكر ذلك آنفا. ثم قال
تعالى: "وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها." وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة فعجل

لكم هذه يعني خيبر. وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر. ثم قال
تعالى: "وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا" قال:
معناه ووعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها
عليكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبى ليلى والحسن ومقاتل: هي
فارس والروم، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق: هي خيبر، وعدها الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله
بها. وهي رواية عطية وباذان عن ابن عباس. وقال قتادة: هي مكة. وقال مجاهد: ما
فتحوا حتى اليوم.
قوله تعالى: "ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا،" قال: يعني
أسدا وغطفان وأهل خيبر. وقال قتادة: يعنى كفار قريش، "سنة الله التي قد خلت من
قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا."
وقوله تعالى: "وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم
عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا؛" واختلفوا في هؤلاء، فقال أنس: إن ثمانين رجلا من أهل
مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من جبل التنعيم عند صلاة
الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلما فأعتقهم،
فأنزل الله عز وجل الآية. قال عكرمة عن ابن عباس: إن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا
منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقد قدمنا
ذكرهم.
وقال عبد الله بن مغفل: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في أصل الشجرة،
وعلى ظهر غصن من أغصان تلك الشجرة، فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبى طالب رضى
الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو، فخرج علينا ثلاثون شابا عليهم
السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله

بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فحلى عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله
عز وجل الآية. وقيل: غير ذلك. والله تعالى أعلم.
ثم قال تعالى: "هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ
محله" الآية. وهي قصة الحديبية وقد تقدم شرحها. وقوله تعالى: "ولولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته
من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما،" قال: قوله: أن تطئوهم أي تقتلوهم
فتصيبكم منهم معرة بغير عليم، قال ابن زيد: إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الدية. وقيل:
الكفارة، لأن الله عز وجل إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر
منها ولم يعلم قاتله إيمانه الكفارة دون الدية. وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون: قتلوا
أهل دينهم. والمعرة المشقة، وأصلها من العر وهو الجرب.
قال: فلولا ذلك لأذن لكم في
دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ليدخل الله في رحمته.
أي في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة قبل أن تدخلوها.
قال: وقال بعض العلماء:
قوله لعذبنا جواب لكلامين أحدهما ولولا رجال والثاني لو تزيلوا أي تميزوا. وقال قتادة في
قوله: ليدخل الله في رحمته أي أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من
المؤمنين عن مشركي مكة.
وعن علي بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
قول الله عز وجل: "لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما" قال: هم المشركون من
أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وممن كان بعدهم في عصره، كان في أصلابهم
المؤمنون، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا أليما."
قوله تعالى: "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية،" قال ابن إسحاق: يعني
سهيل بن عمرو حين حمى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم.
وأن محمدا رسول الله. "فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة
التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما،" قال: كلمة التقوى يعنى

الإخلاص؛ وقد روى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قوله تعالى: وألزمهم كلمة
التقوى: لا إله إلا الله. وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك
وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مصرف والربيع والسدى وابن زيد.
وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله.
وعن علي رضى الله عنه قال: كلمة التقوى: لا إله إلا الله والله أكبر، وهو قول ابن عمر.
وقال عطاء بن أبى رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو
على كل شئ قدير. وعن الزهرى: كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم.
قوله تعالى: "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين
محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا."
قال: الرؤيا التي أراها إياها في مخرجة إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام.
قوله: فعلم ما لم تعملوا أي أن الصلاح كان في الصلح. فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قيل:
صلح الحديبية.
ثم قال تعالى: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله
شهيدا" أي أنك نبي صادق فيما تخبر.
ثم وصف تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال تعالى: "محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل
كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرع ليغيظ بهم الكفار
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما." قال الثعلبي رحمه الله
تعالى: قوله: محمد رسول الله تم الكلام هاهنا، يعني الكلام الأول، ثم قال مبتدئا: "والذين
معه أشداء على الكفار" أي غلاظ لا تأخذهم فيهم رأفة. رحماء بينهم أي متعاطفون
متوادون بعضهم على بعض. يبتغون فضلا من الله أي يدخلهم جنته.

ورضوانا يرضى عنهم. سماهم علامتهم. في وجوههم من أثر السجود واختلف العلماء
في هذه السيماء، فقال قوم: هو نور بياض في وجوههم يوم القيامة، يعرفون بتلك العلامة أنهم
سجدوا في الدنيا؛ وهي رواية العوفى عن ابن عباس. وقال عطاء بن أبى رباح والربيع بن
أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا. وقال شهر بن حوشب: يكون موضع السجود
من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع.
وقال منصور: سألت مجاهدا عن قوله تعالى: سيماهم في وجوههم أهو الأثر يكون بين عيني
الرجل؟ قال: لا، ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة البعير، وهو أقسى قلبا من الحجارة،
ولكنه نور في وجوههم من الخشوع. وقال ابن جريج: هو الوقار والبهاء. وقال شمر بن
عطية: هو التهيج وصفرة الوجه وأثر السهر. قال الحسن:إذا رأيتم حسبتم مرضى، وما
هم بمرضى. وقال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب في جباههم. وقال عطية
الخراساني: دخل في هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ذلك مثلهم أي ذلك
الذي ذكرت مثلهم صفتهم في التوراة قال: وهاهنا تم الكلام. ثم قال: ومثلهم صفتهم في
الإنجيل كزرع أخرج شطأه؛ قال أنس: شطأه نباته. وقال ابن عباس: سنبله. وقال مجاهد
والضحاك: ما يخرج تحت الحلقة فينمو ويتم. وقال مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج ما
بعده فقد شطأه. وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. وقال الفراء: الأشطاء:
الزرع إذا نبت سبعا أو ثمانيا أو عشرا.
وقال الأخفش: فراخه، يقال: أشطأ الزرع فهو مشطئ إذا فرخ، قال الشاعر:

أخرج الشطء على وجه الثرى ومن الأشجار أفنان الثمر

قال: وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، يعنى أنهم كانوا
يكونون قليلا، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون. قال قتادة: مثل أصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر. فآزره قواه وأعانه وشد أزره.

فاستغلظ، فغلظ وقوى. فاستوى تم وتلاحق نباته وقام. على سوقه أصوله.
يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار يعنى أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضى الله عنهم ليغيظ بهم الكفار. قال الثعلبي بسند يرفعه إلى الحسن ف قوله
عز وجل: محمد رسول الله قال: محمد رسول الله. والذين معه، أبو بكر. أشداء على
الكفار عمر بن الخطاب. رحماء بينهم عثمان بن عفان.
تراهم ركعا سجدا على بن أبى طالب. يبتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير
وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة. سيماهم في وجوههم من أثر
السجود، قال: هم المبشرون، أولهم أبو بكر وآخرهم أبو عبيدة. ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الإنجيل قال: نعتهم في التوراة والإنجيل كمثل زرع. قال: الزرع: محمد صلى الله
عليه وسلم. أخرج شطأه أبو بكر الصديق. فآزره عمر بن الخطاب.
فاستغلظ عثمان؛ يعنى استغلظ للإسلام. فاستوى على سوقه على بن أبى طالب، يعني
استقام الإسلام بسيفه. يعجب الزراع قال: المؤمنون.
ليغيظ بهم الكفار قال: قول عمر لأهل مكة: لا نعبد الله سرا بعد اليوم.
رضوان الله عليهم أجمعين.
خبر أبى بصير
ومن لحق به وانضم إليه
قد اختلف في اسمه، فقيل: عبيد بن أسيد بن جارية. وقال ابن إسحاق: عتبة بن أسيد
بن جارية. وعن أبى معشر قال: اسمه عتبة بن أسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن
سلمة بن عبد الله بن غيرة بن عوف بن قسي، وهو ثقيف ابن منبه بن بكر هوازن،
حليف لبنى زهرة. وخبره وإن لم يكن داخلا في جملة الغزوات والسرايا فليس هو مناف
لها، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضع لتعلقه بغزوة الحديبية، ولأن رده كان من شروط
الهدنة. ونحن نورده هاهنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى،
رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده

أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد ابن إسحاق رحمهم الله تعالى، يدخل حديث
بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة انفلت
رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له: أبو بصير بن أسيد بن جارية الثقفي من
المشركين، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما مهاجرا، وكان ممن حبس بمكة،
فكتب فيه أزهر بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن
وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي،
ومعه مولى لهم، ويقال: كانا من بني منقذ، أحدهما مولى والآخر من أنفسهم، واسمه جحش
بن جابر، وكان ذا جلد ورأى في أنفس المشركين، وجعل لهما الأخنس في طلب أبى بصير
جعلا، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر،
وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فانطلق إلى قومك." فقال: يا
رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: "انطلق، فإن الله سيجعل لك فرجا
ومخرجا." ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذي الحليفة سل جحش سيفه، ثم هزه
وقال: لأضربن بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال له أبو بصير: أو صارم
سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولته أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى
برد، ويقال: بل تناول أبو بصير سيف جحش بفيه، وهو نائم، فقطع به إساره، ثم ضربه به
حتى برد؛ وطلب الآخر فجمز مذعورا مستخفيا، حتى دخل المسجد إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم حين رآه: لقد رأى هذا ذعرا؛ فأقبل
واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ويحك! مالك؟ فقال صاحبكم
صاحبي. وجاء أبو بصير يتلوه، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: وفت
ذمتك يا رسول الله، وأدى الله عنك، دفعتني إليهما فتعرفت أنهم سيعذبونني ويفتنونني عن

ديني، فقتلت المنقذي، وأفلتني هذا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويل أمه
مسعر حرب لو كان معه رجال!"، وجاء أبو بصير بسلبه فقال: خمس يا رسول الله؛ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني إن خمسته لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن
شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت." فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا
قدموا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العيص وذي
المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر، لا تمر بهم غير
لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو - واسم أبى
جندل العاص بن سهيل على ما أورده الزبير بن بكار - في سبعين راكبا أسلموا، فلحقوا
بأبى بصير حين بلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ويل امه مسعر حرب لو
كان معه رجال،" فقطعوا مادة قريش من طريق الشام. وكان أبو بصير يصلي لأصحابه،
فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم، واجتمع إلى أبى جندل ناس من بني غفار وأسلم
وجهينة وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل، وهم مسلمون، فأقاموا مع أبى
جندل وأبى بصير، لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وقال أبو جندل في
ذلك:

أبلغ قريشا عن أبى جندل أنا بذي المروة بالساحل
في معشر تخفق راياتهم بالبيض فيها والقنا الذبل
يأبون أن تبقى لهم رفقة من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجا والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه أو يقبل المرء ولم يأتل

فأرسلت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامهم إلا آراهم، وقالوا: لا
حاجة لنا بهم. قال البيهقي: وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه، فإن
هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح إقراره. فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين
كانوا أشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية
أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير لهم فيما أحبوا وكرهوا. وحكى البيهقي:

أن هؤلاء هم الذين مر بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه، فلما بلغهم ما قاله رسول
الله صلى الله عليه وسلم أطلقوا من أسروا من أصحاب أبى العاص، وردوا إليهم جميع ما
أخذوه حتى العقال، وقد تقدم خبر أبى العاص، وقيل: إنما أخذ في هذه السرية. والله
أعلم.
قال: وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى أبى بصير وأبى جندل يأمرهما أن
يقدما عليه، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم، ولا
يعترضوا لأحد مر بهم من قريش وعيراتهم. فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أبى جندل وأبى بصير، وأبو بصير قد أشرف على الموت، فمات وكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجدا،
وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس من أصحابه، ورجع
سائرهم إلى أهليهم، وأمنت عيرات قريش.
غزوة خيبر
وفتحها وما يتصل بذلك
قال محمد بن سعد: غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى سنة سبع
من مهاجره. وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: في المحرم من
السنة. وخيبر على ثمانية برد من المدينة.
قالوا: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر، وأجلب من حوله
يريدون الغزاة معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لايخرجن معنا إلا راغب في
الجهاد،" وشق ذلك على من بقى بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سباع
بن عرفطة الغفاري، قاله ابن سعد والبيهقي. وقال ابن إسحاق: استخلف نميلة بن عبد
الله الليثي؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضى الله عنها.
قال ابن إسحاق: لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر قال في مسيره لعامر
بن الأكوع - وهو عم سلمة بن الأكوع، واسم الأكوع سنان - "انزل يابن الأكوع، فخذ لنا
من هناتك،" فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحمك ربك. ومن رواية البيهقي: غفر لك
ربك. قال: وما خص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قط إلا استشهد. قال
ابن إسحاق: فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: وجبت والله يا رسول الله، لو متعتنا
بعامر؛ فقتل يوم خيبر شهيدا، رجع سيفه عليه وهو يقاتل، فكلمه كلما شديدا فمات.
قال: ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سلك على عصر فبنى له
مسجدا، ثم على الصهباء، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بواد يقال له: الرجيع، فنزل بينهم وبين
غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى
الله عليه وسلم، قال: فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر
جمعوا، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم
وأهليهم حسا، وظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم
وأموالهم، ودخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر.
قال: ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر قال لأصحابه: قفوا فوقفوا،
ثم قال: "اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما
أضللن، ورب الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها،
ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله."
قال: ولما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس،
وأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم، وغدوا إلى أعمالهم، معهم المساحي،
والكرازن - وهي الفئوس - والمكاتل - وهي الزنابيل - فلما نظروا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا: محمد والخميس - يعنون الجيش - فولوا هاربين إلى حصونهم،
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة

قوم فساء صباح المنذرين،" ووعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس، وفرق فيهم
الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، إنما كانت الألوية، فكانت راية رسول الله صلى الله
عليه وسلم السواء من برد لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تدعى العقاب، ولواؤه أبيض،
ودفعه إلى علي بن أبى طالب،ورواية إلى الحباب بن المنذر، ورواية إلى سعد بن عباد؛ وكان
شعارهم: يا منصور أمت، وكانت حصون خيبر حصونا ذوات عدد، منها النطاة، وحصن
الصعب ابن معاذ، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، هذه حصون النطاة. والشق وبه
حصون منها: حصن أبى، وحصن النزار. وحصون الكتيبة منها: القموص، والوطيح،
وسلالم. وسنذكر إن شاء الله فتحها حصنا حصنا. قال: وخرج مرحب اليهودي من
حصنهم، قد جمع سلاحه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب
إن حماى للحمى لا يقرب

ثم يقول: هل من مبارز؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول:

قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغمى جرئ صلب
إذ شبت الحرب تليها الحرب معي حسام كالعقيق عضب
نطاكم حتى يذال الصعب نعطي الجزاء أو يفئ النهب
بكف ماض ليس فيه عتب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول
الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس؛ قال: فقم إليه، اللهم أعنه عليه. فخرج إليه
حتى دنا منه، فحمل مرحب عليه فضربه، فاتقاه بالدرقة، فأمسكت سيفه، وضربه محمد
بن مسلمة فقتله. وقد روى أن الذي قتل مرحبا علي بن أبى طالب رضى الله عنه، وذلك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ونهض
معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم، يجيبه أصحابه ويجبنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه راية رسول الله صلى

الله عليه وسلم، ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع، فأخذها عمر رضى الله عنه فقاتل
قتالا شديدا أشد من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك،
فقال: "أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يأخذها
عنوة." وفي رواية قال: يفتح الله على يديه. فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما
أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: أين أبى طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه؛ قال:
فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه سلمة بن الأكوع فدعاه، فجاء على بعير له
حتى أناخ قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أرمد، قد عصب عينيه بشقة
برد قطري، قال سلمة: فجئت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم: مالك؟ قال: رمدت؛ فقال: ادن مني فدنا منه فتفل في عينيه،
ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، وما وجعهما حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية
وقال: "امض حتى يفتح الله عليك" قال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال:
انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم
من حق الله، فو الله لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم روى هذا
الحديث أو نحوه أهل الصحة.
ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال: فنهض علي بالراية وعليه حلة أرجوان
حمراء، وقد أخرج حملها، فأتى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن، وعليه مغفر
معصفر، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب إذا الحروب أقبلت تلهب

كان حماى كالحمى لا يقرب
فبرز له بن أبى طالب فقال:

أنا الذي سمتنى حيدره كليث غابات شديد قسوره
أكيلكم بالسيف كيل السندره

فاختلفا ضربتين، فبدره علي رضى الله عنه فضربه، فقد الحجر والمغفرة وفلق رأسه،
حتى أخذ السيف في الأضراس. ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني ياسر شاكي السلاح بطل مغاور
إذا الليوث أقبلت تبادر إن حماى فيه موت حاضر

وهو يقول: هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام رضى الله عنه، وهو يقول:

قد علمت خيبر أني زبار قرم لقوم غير نكس فرار
أين حماة المجد؟ أين الأخيار؟ ياسر، لا يغررك جمع الكفار فجمعهم مثل السراب الختار

فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: "بل ابنك يقتله إن
شاء الله" ثم التقيا، فقتله الزبير. ومن رواية أخرى عن سلمة قال: فخرج علي رضى الله
عنه يهرول هرولة وإنا لخلقه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم حجارة تحت الحصن، فاطلع
إليه يهودى من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبى طالب؛ فقال اليهودى:
علوتم وما أنزل الله على موسى. وقال ابن إسحاق أيضا من رواية أبى رافع مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم، قال: خرجنا مع علي رضى الله عنه حين بعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود
فطرح ترسه من يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده
وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة، أنا
ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه.
قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما: إن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، جهدنا وما بأيدينا من شئ؛ فلم يجدوا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه؛ فقال: اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن
ليست بهم قوة، وأن ليس بيدى شئ أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها غناء،
وأكثرها طعاما وودكا، فغدا الناس، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر
حصن كان أكثر منه طعاما وودكا. قال البيهقي: وافتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حصن ناعم، فانتقل من كان من يهود بحصن مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزبير،
ويقال: حصن ناعم أول ما افتتح من حصونهم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه
رحى منه فمات. قال: وحصن الزبير حصن منيع في رأس قلة، فحاصرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم به ثلاثة أيام، فجاءه رجل من اليهود يقال له: غزال؛ فقال: يا أبا
القاسم، تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى أهل الشق؟
فإن أهل الشق قد هلكوا رعبا منك، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهله
وماله، فقال اليهودى: إنك لو أقمت شهرا ما بالوا، لهم دبول تحت الأرض، يخرجون بالليل
فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمتنعون منك، فإذا قطعت مشربهم عليهم أصحروا
لك. فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دبولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم
خرجوا فقاتلوا أشد قتال، وقتل من المسلمين يومئذ نفر، وأصيب من يهود في ذلك اليوم
عشرة، وآفتتحه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان آخر حصون النطاة؛ فلما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من النطاة تحول إلى أهل الشق، وبه حصون، فكان أول
حصن بدأ به صلى الله عليه وسلم حصن أبى، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قلعة يقال لها سموان؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالا شديدا، وخرج رجل من اليهود
يقال له غزول؛ فدعا إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فآختلفا ضربات، ثم حمل عليه
الحباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن،
فتبعه الحباب فقطع عرقوبيه، فوقع، فذفف عليه، فخرج آخر فصاح: من يبارز؟ فبرز له
رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشي، وقام مكانة يدعو إلى البراز، فبرز له أبو
دجانة، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المغفر، يختال في مشيته، فبدره أبو دجانة
فضربه فقطع رجليه، ثم ذفف عليه وأخذ سلبه؛ درعه وسيفه: فنفله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك، وأحجموا عن البراز، فكبر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه،

يقدمهم أبو دجانة الأنصاري، فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما، وهرب من كان فيه
من المقاتلة، وتقحموا الجدار كأنهم الظبي إلى حصن النزار، فغلقوه وامتنعوا فيه، وزحف
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقاتلهم، فكانوا أشد أهل الشق رميا بالنبل
والحجارة، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به، فأخذ
النبل فجمعها، ثم أخذ كفا من حصباء، فحصب به حصنهم فرجف الحصن بهم، ثم ساخ
في الأرض حتى جاء المسلمون، فأخذوا أهله أخذا أهله أخذا، ثم تحول رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى أهل الكتيبة، فافتتح القموص، حصن أبى الحقيق، وأتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منه بصيفية بنت حي بن أخطب.
قالوا: ولما آفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما آفتتح، وحاز من
الأموال ما حاز، آنتهوا إلى حصنيهم: الوطيح والسلالم، وكانا آخر حصون أهل خيبر
آفتتاحا، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا
بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم. قال
البيهقي: حصرهم أربعة عشر يوما وهم لا يطلعون من حصونهم، حتى هم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ينصب المنجنيق عليهم، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا الصلح،
وأرسل آبن أبى الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزل فأكلمك؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: نعم، فنزل كنانة بن الربيع آبن أبى الحقيق فصالح رسول الله
صلى الله عليه وسلم على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم،
ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما
كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء بيضاء والكراع والحلقة، وعلى البز إلا ثوبا على
ظهر إنسان؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن
كتمتموني شيئا" فصالحوه على ذلك. وكان عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق كنز بنى

النضير، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فجحد أن يكون يعلم مكانه، وقال:
نفذ في النفقة والحروب؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان أكثر من ذلك،" ثم
جاء رجل من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني رأيت
كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة: "أرأيت
إن وجدناه عندك، أقتلك؟" قال: نعم؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة
فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقى، فأبى أن يؤديه، فأمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام به، فقال: "عذبه حتى تستأصل ما عنده،" فكان
يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. ويقال: ذلك بعد فتح حصن
القموص، وقبل فتح الوطيح والسلالم.
قال محمد بن إسحاق: ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف؛ على أنا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، قال:
ولما سمع أهل فدك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آفتتح حصون خيبر بعثوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسألونه أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له
الأموال، ففعل؛ وكان ممن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة
بن أخو بني حارثة، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف
كما عامل أهل خيبر، فأجابهم إلى ذلك؛ على أنا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم؛ فكانت
خيبر فيئا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم لم
يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.
ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب رضى
الله عنه من أرض الحبشة ومن كان بقى بها من المسلمين، فقبله رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين عينيه التزمه، وقال: ما أدرى بايهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر! .

من استشهد في خيبر
قالوا: استشهد من المسلمين في غزوة خيبر تسعة عشر رجلا.
من قريش وحلفائهم خمسة
نفر، وهم رفاعة بن مسروح، من بني أمية بن عبد شمس، ومن حلفائهم ربيعة بن أكثم بن
سخبرة، وثقف بن عمرو بن سميط، ومن حلفاء بني أسد ابن عبد العزى أبو عمير عبد
الله بن الهبيب - ويقال ابن الهبيب - بن أهيب الليثي، ومسعود بن ربيعة، حليف لبنى
زهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر رجلا، وهم: بشر بن البراء بن معرور، مات
من الشاة المسمومة، وفضيل بن النعمان، ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة،
وأبو ضياح النعمان بن ثابت، والحارث بن حاطب، ممن شهد بدرا، وعروة بن مرة بن
سراقة، وأوس بن الفائد، وأنيف بن حبيب، وثابت بن إثلة، وطلحة، ومبشر، وعمارة بن
عقبة، وعامر بن الأكوع الأسلمى، وكان قد برز له يهودى، فبرز إليه وهو يقول:
قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر
واختلفا ضربتين، فوقع سيف اليهودي في ترس عامر، ووقع سيف عامر عليه، فأصاب
ركبة نفسه وساقه، فمات منها. قال سلمة بن الأكوع: فمررت على نفر من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون: بطل عمل عامر؛ فأتيت نبي الله صلى الله عليه
وسلم وأنا شاحب أبكي، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل عامر؟ فقال: ومن قال ذلك؟
قلت: بعض أصحابك؛ قال: كذب من قاله، بل أجره مرتين، إنه لجاهد مجاهد.
واستشهد الأسود الراعي - واسمه أسلم، وهو من أهل خيبر - وكان من حديثه حكاه
محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي رحمهما الله: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان فيها أجيرا لرجل من يهود، فقال: يا
رسول الله، اعرض على الإسلام؛ فعرضه عليه، فقال: فماذا لي إن أنا شهدت وآمنت
بالله؟ قال: لك الجنة إن أنت مت على ذلك، فأسلم وقال: يا رسول الله، إني كنت أجيرا
لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "أخرجها من عسكرنا، واحصب وجوهها، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك،
وسترجع إلى ربها." ففعل الأسود وقال: ارجعي إلى صاحبك، فو الله لا أصحبك،
فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن. ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل
مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، فأتى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوضع خلفه، وسجى بشملة كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: "إن معه الآن
زوجته من الحور العين."
وقتل من يهود ثلاثة وأربعون، منهم: الحارث أبو زينب، ومرحب، وأسير، وياسر، وعامر،
وكنانة بن أبى الحقيق، وأخوه.
قسم غنائم خيبر
قال محمد بن سعد: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم فجمعت، واستعمل
عليها فروة بن عمرو البياضي، وأمر بذلك فجزئ خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله،
وسائر السهمان أغفال، فكان أول ما خرج سهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر ببيع
الأربعة أخماس فيمن يزيد، فباعها فروة، وقسم ذلك بين أصحابه؛ وكان الذي ولي إحصاء
الناس زيد بن ثابت، فأحصاهم ألفا وأربعمائة رجل، والخيل مائتي فرس، فكانت السهمان
على ثمانية عشر سهما، لكل مائة سهم، وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعطي منه على ما أراه الله.
وقال محمد بن إسحاق: كانت المقاسم على أموال خيبر، على الشق ونطاة والكتيبة،
فكانت الكتيبة خمس الله، وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى
والمساكين، وطعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وطعم رجال مشوا بين رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وبين أهل فدك بالصلح، منهم محيصة بن مسعود، أعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وسقا من شعير، وثلاثين وسقا من تمر، وكانت الشق
ونطاة في سهمان المسلمين؛ قال: وقسمت خيبر على أهل الحديبية، من شهد منهم ومن

غاب، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله صلى
الله عليه وسلم كسهم من حضرها. وقال: وكان وادياها: وادي السرير ووادي خاص،
وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، فكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما، نطاة خمسة
أسهم، والشق ثلاثة عشر سهما، فقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم،
فكان لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل؛ ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتيبة - وهو وادي خاص - بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم
منها. وروى بشير بن يسار قال: لما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر أخذها عنوة،
فقسمها على ستة وثلاثين سهما، فأخذ لنفسه ولنوائبه وما ينزل به ثمانية عشر سهما،
وقسم بين الناس ثمانية عشر سهما. والله أعلم.
وروى أبو داود في سننه بسنده إلى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لرجل: أترضى أن أزوجك فلانة؟ قال: نعم؛ وقال للمرأة: أترضين أن أزوجك فلانا؟ قالت:
نعم. فزوج أحدهما صاحبه، فدخل بها الرجل، ولم يفرض لها صداقا ولم يعطها شيئا،
وكان ممن شهد الحديبية، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر، فلما حضرته الوفاة قال:
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني فلانة، ولم أفرض لها صداقا، ولم أعطها شيئا،
وإني أشهدكم أني أعطيتها من صداقها سهمى بخيبر. فأخذت سهما فباعته بمائة ألف.

تسمية من قسم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتيبة التي خرجت للخمس وما أعطاهم منها

قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتيبة - وهو وادي خاص - لفاطمة ابنته
رضى الله عنها مائتي وسق، ولعلي بن أبى طالب مائة وسق، ولأسامة بن زيد مائتي وسق،
وخمسين وسقا نوى، ولعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها مائتي وسق، ولأبى بكر الصديق
رضى الله عنه مائة وسق، ولعقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقا، ولبني جعفر
خمسين وسقا، ولربيعة بن الحارث مائة وسق، وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق؛

للصلت منها أربعون وسقا. وقال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة قاسم بن مخرمة بن
المطلب: أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأخيه الصلت مائة وسق من خيبر،
ولأبى نبقة خمسين وسقا، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا، ولابن القاسم بن مخرمة أربعين
وسقا، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنه الحصين بن الحارث مائة وسق، ولبني عبيد بن عبد
يزيد ستين وسقا، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا، ولمسطح بن أثاثة وابن إلياس خمسين
وسقا، ولأم رميثة أربعين وسقا، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين
وسقا، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين
وسقا، ولجمانة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا، ولعبد الله بن الأرقم الزهري خمسين وسقا،
ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا، ولام الزبير
أربعين وسقا، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا، ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا، ولأم
طالب أربعين وسقا، ولأبى نضرة عشرين وسقا، ولنميلة الكلبى خمسين وسقا، ولعبد الله
بن وهب وابنيه تسعين وسقا، لابنيه منها أربعون وسقا، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين
وسقا، ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقا، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعمائة وسق.
وقال ابن إسحاق أيضا: وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه من فتح خيبر مائة
وسق وثمانين وسقا، ولفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا،
ولأسامة بن زيد أربعين وسقا، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا، ولأم رميثة خمسة
أوسق.
شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب.
قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر
خاصا بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم، فإذا قالوا: تعديت علينا؛ قال: إن شئتم فلكم،
وإن شئتم فلنا؛ فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض.
ولم يحرص عليهم عبد الله إلا عاما واحدا ومات.
وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريج عن

أبى الزبير عنه، قال: خرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق، وإن اليهود لما خيرهم ابن
رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق؛ ثم خرص عليهم بعده جبار بن صخر بن
أمية بن خنساء، أخو بني سلمة، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسا في
معاملتهم، حتى عدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهيل،
أخي بني حارثة، فقتلوه، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمرا، فوجد في عين
قد كسرت عنقه، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بقتله، وجاء أخوه
عبد الرحمن بن سهيل، وابنا عمه حويصة ومحيصة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فتكلم عبد الرحمن - وكان أصغرهم، وهو صاحب الدم - فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: كبر كبر فسكت، وتكلم حويصة ومحيصة، ثم تكلم بعدهما، فذكروا قتل
صاحبهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتسمعون قاتلكم ثم تحلفون عليه
خمسين يمينا فنسلمه إليكم؟" قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على مالا نعلم؛ قال:
"أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلا، ثم يبرءون من دمه؟" ، فقالوا: يا
رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم. قال:
فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة ناقة.
قال: واستقرت خيبر بيد يهود على ما عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة
حياته، ثم أقرها أبو بكر رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم على
المعاملة، ثم أقرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه صدرا من خلافته، ثم بلغه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: لا يجتمعن بجزيرة العرب
دينان؛ ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود، فقال: إن الله قد أذن في
إجلائكم، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يجتمعن بجزيرة العرب
دينان" فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به أنفذه

له، ومن لم يكن له عهد منه فليتجهز للجلاء. فأجلى عمر بن الخطاب من لم يكن عنده
عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
هذا ما كان من أمر خيبر على سبيل الاختصار، فلنذكر ما اتفق بعد فتح خيبر مما يتعين
إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها، فمن ذلك خبر الشاة التي سم فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وقد قدمنا ذكر ذلك في أخبار يهود، وهو في الجزء الرابع عشر من هذه النسخة،
ومنه خبر الحجاج بن علاط.
خبر الحجاج بن علاط
وما أوصله إلى أهل مكة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استوفى أمواله
قالوا: وكان الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزي أسلم وشهد خيبر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فلما فتحت خيبر قال: يا رسول الله، ان لي بمكة مالا عند صاحبتي أم
شيبة بنت أبى طلحة، ومال مفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله.
فأذن له، فقال: إنه لابد لي يا رسول الله من أن أقول. قال: قل، قال الحجاج: فخرجت
حتى إذا قدمت مكة وجدت بثينة البيضاء رجالا من قريش يستمعون الأخبار، ويسألون
عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا
أنها قرية الحجاز؛ ريفا ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما
رأوني قالوا: الحجاج بن علاط عنده والله الخبر؛ قال: ولم يكونوا قد علموا بإسلامي، فقالوا:
أخبرنا يا أبا محمد، فإنه بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز؛
قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم؛ فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا
حجاج! قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله
قط، وأسر محمد أسرا، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن
أصاب من رجالهم. فقالوا وصاحوا بمكة، وقالوا: لقد جاءكم الخبر، وهذا محمد، إنما
تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة

على غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني
التجار إلى ما هنالك. قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحث جمع سمعت به. قال: وجئت
صاحبتي فقلت: مالي - وقد كان لي عندها مال موضوع - لعلي ألحق بخيبر، فأصيب من
فرص البيع قبل أن يسبقني التجار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه
عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيم التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا
الخبر الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: قلت: وهل
عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم؛ قلت: فاستأخر عني حتى أفرغ. قال: فلما
فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة، وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ علي
حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثا، ثم قل ما شئت. قال: أفعل؛ قلت: فإني
والله تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حي بن أخطب -
ولقد افتتح خيبر، وانتثل ما فيها، وصارت له ولأصحابه؛ قال: ما تقول يا حجاج! قلت:
إي والله، فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي فرقا من أن أغلب عليه، فإذا
مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب. قال: وسرت حتى إذا كان اليوم الثالث
لبس العباس حلة له، وتخلق وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما
رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلد لحر المصيبة؛ قال: كلا، والله الذي حلفتم به لقد
افتتح محمد خيبر وترك عروسا على آبنة ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له
ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل
عليكم مسلما فأخذ ماله، وانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه؛ قالوا: يالعباد الله!
انقلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن. ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

وادي القرى

انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر
إلى وادي القرى، ونومهم عن صلاة الصبح

قالوا: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فنزل
به مع غروب الشمس، ومعه غلام له يقال له: مدعم؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجذامي،
فبينا هو يضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه سهم غرب فقتله، فقال الناس:
هنيئا له الجنة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلا والذي نفس محمد بيده إن
شملته لتحترق عليه في النار." كان غلها من فئ المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أصبت شراكين لنعلين لي؛
فقال: يقد لك مثلهما من النار.
قال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلى أبى هريرة رضى الله عنه، وساق
نحو الحديث في قتل مدعم، ثم قال: وكانت يهود قد ثوى إليها ناس من العرب، فاستقبلونا
بالرمى حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة، وهم يصيحون من آطامهم، فعبأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم أصحابه وصفهم للقتال، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة، ورواية إلى الحباب
بن المنذر، ورواية إلى سهل بن حنيف، ورواية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام،
وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله. فبرز
رجل منهم، فبرز إليه الزبير ابن العوام فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه علي بن أبى طالب
رضى الله عنه فقتله ثم برز آخر، فبرز إليه أبو دجانة الأنصاري رضى الله عنه فقتله،
حتى قتل منهم اثنا عشر رجلا، كلما قتل رجل منهم دعى من بقى إلى الإسلام. قال: ولقد
كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم
صلى الله عليه وسلم حتى أمسى، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا
بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنم أموالهم، وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا، فأقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض
والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها، فلما بلغ يهود تيماء ما كان من أمر خيبر وفدك ووادي

القرى صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم، ثم
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة؛ فلما كان ببعض الطريق قال
من آخر الليل: من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ وجاء في الحديث: من رجل يكلأ
لنا الليل؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل الناس
فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم استند إلى بعيره واستقبل الفجر
يرمقه فغلبته عينه فنام، فلم يوقظهم إلا مس الشمس، وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أول أصحابه استيقاظا، فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال؟ فقال: يا رسول الله أخذ
بنفسي الذي أخذ بنفسك. قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعيره غير كثير ثم أناخ، فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة فصلوها
إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجل يقول: "وأقم الصلاة لذكرى." وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم
أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: إن هذا واد به شيطان فركبوا حتى
خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضئوا... الحديث بنحو ما تقدم.

سرية عمر

بن الخطابرضى الله عنه إلى تربة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلا إلى
عجز هوازن بتربة - وهي ناحية العبلاء على أربع ليال من مكة، طريق صنعاء ونجران -
فأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالهم فلم يلق بها أحدا. فانصرف راجعا إلى المدينة.

سرية أبى بكر

الصديقرضى الله عنه إلى بنى كلاب بنجد

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجره.
روى عن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع أبى بكر رضى الله عنه إذ بعثه رسول الله

صلى الله عليه وسلم علينا، فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم، وكان شعارنا: أمت
أمت. قال: فقلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين. وعنه أيضا قال: بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى فزارة. وهذا الذي صححه مسلم. وعن إياس بن سلمة
بن الأكوع قال: حدثني أبى قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر رضى الله عنه، أمره رسول
الله صلى الله عليه وسلم علينا، فلما كان بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا، ثم
شن الغارة فورد الماء، فقتل من قتل وسبى من سبى. ثم قال سلمة: فرأيت عنقا من الناس
فيهم الذرارى، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا
السهم وقفوا، فجئت بهم أسواقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة، معها ابنة لها من أحسن
العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضى الله عنه فنفلنى ابنتها، فقدمنا المدينة وما
كشفت لها ثوبا، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق، فقال: يا سلمة، هب
لي المرأة. فقلت: يا رسول الله، قد أعجبني وما كشفت لها ثوبا؛ ثم لقيني من الغد في
السوق، فقال: يا سلمة، هب لي المرأة، لله أبوك! .
فقلت: هي لك يا رسول الله؛ فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة،
ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة. روى هذا الحديث مسلم.

سرية بشير بن سعد
الأنصاري إلى فدك

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلا إلى
بني مرة بفدك، فخرج فلقى رعاء الشاء، فسأل عن الناس
فقيل: في نواديهم؛ فاستاق النعم
والشاء، وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركهم الدهم منهم عند الليل،
فباتوا يرمونهم بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المريون عليهم
فأصابوا أصحاب بشير، وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه، وقيل: قد مات. ورجعوا
بنعمهم وشائهم، وقدم علبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ثم قدم بعده بشير بن سعد.

سرية غالب
بن عبد الله الليثي إلى الميفعة
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان سنة سبع من مهاجره إلى بني
عوال، وبنى عبد بن ثعلبة، وهم بالميفعة، وهي وراء بطن نخل إلى النقرة قليلا بناحية
نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية برد.
بعثه في مائة وثلاثين رجلا، ودليلهم يسار، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهجموا
عليهم جميعا، ووقعوا وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعما وشاء فحدروه
إلى المدينة، ولم يأسروا أحدا. وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال لا إله إلا
الله، وهو نهيك بن مرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بغيض، وقال ابن إسحاق: مرداس بن
نهيك؛ حليف لهم من الحرقة من جهينة.
ونقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الاضبط الأشجعي، وأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وداه. قال أسامة: أدركته أنا ورجل من الأنصار، فلما شهرنا عليه السلاح قال أشهد
أن لا إله إلا الله؛ فلم ننزع عنه حتى قتلناه، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخبرناه خبره؛ فقال: يا أسامة، من لك بلا إله إلا الله؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنه
إنما قالها تعوذا من القتل؛ قال: فمن لك بها يا أسامة؟ قال: فو الذي بعثه بالحق إنه مازال
يرددها علي حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وكنت أسلمت يومئذ، وأني لم
أقتله. قال: قلت: أنظرني يا رسول الله، إني أعاهد الله ألا أقتل رجلا يقول: لا إله إلا الله
أبدا. قال: يقول بعدي يا أسامة، قلت: بعدك.
وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة حين قال: يا
رسول الله، إنما قالها تعوذا من القتل هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب! .
سرية إلى يمن وجبار
كانت هذه السرية في شوال سنة سبع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من غطفان بالجناب قد واعدهم
عيينة بن حصن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا بشير

بن سعد فعقد له لواء، وبعث معه ثلثمائة رجل، فساروا حتى أتوا يمن وجبار، وهو نجو
الجناب - والجناب يعارض سلاح وخيبر ووادي القرى - فدنوا من القوم فأصابوا لهم نعما
كثيرا، وتفرق الرعاء فحذروا الجمع، فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم، وخرج بشير بن سعد في
أصحابه حتى أتى محالهم فلم يجد فيها أحدا، فرجع بالنعم، وأصاب منهم رجلين،
فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلهما صلى الله عليه
وسلم.

سرية آبن أبى العوجاء
السلمى إلى بني سليم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة سنة سبع من مهاجره في خمسين
رجلا إلى بني سليم، وذلك بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بعد
عمرة القضاء، فخرج إليهم وتقدمه عين لهم كان معه، فحذرهم، فتجمعوا، فأتاهم ابن أبى
العوجاء وهم معدون له، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا إليه.
فتراموا ساعة بالنبل، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم
قتالا شديدا حتى قتل عامتهم، وأصيب آبن أبى العوجاء جريحا مع القتلى، ثم تحامل حتى
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان من
الهجرة.

سرية إلى بني الملوح بالكديد

كانت في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. روى عن جندب
بن مكيث الجهني قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب ابن عبد الله الليثي،
ثم أحد بني كلب بن عوف في سرية، فكنت فيهم، وأمرهم أن يشنوا الغارة على بني الملوح
بالكديد - وهو من بني ليث - قال: فخرجنا حتى إذا كنا لقينا الحارث بن البرصاء،
فأخذناه، فقال: إنما جئت أريد الإسلام. قلنا: إن تكن مسلما لم يضررك رباطنا يوما
وليلة. قال: فشددناه وثاقا، وخلفنا عليه رويجلا منا أسود، وسرنا حتى أتينا الكديد عند

غروب الشمس، فكمنا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئة، فخرجت حتى أتى تلا
مشرفا على الحاضر، فاستندت فيه، فعلوت في رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فو الله إني
لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه، فقال لآمرأته: إني لأرى على التل سوادا ما
رأيته في أول يومي، فأنظري إلى أوعيتك، هل تفقدين منها شيئا؟ لا تكون الكلاب جرت
بعضها قال: فنظرت، فقالت: لا والله ما أفقد شيئا. قال: فناولني قوسي وسهمين. فناولته،
فأرسل سهما فو الله ما أخطأ جنبي، فأنزعه فأضعه، وثبت مكاني، ثم أرسل الآخر
فوضعه في منكبي، فأنزعه فأضعه، وثبت مكاني، فقال لآمرأته: لو كان ربيئة لقد تحرك، لقد
خالطه سهماى لا أبا لك! فإذا أصبحت فآبتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب؛ قال: ثم
دخل، وأمهلناهم حتى آطمأنوا - وكان وجه السحر - شننا عليهم الغارة، وآستقنا النعم،
فخرج صريخ القوم في قومهم، فجاء ما لا قبل لنا به، فخرجنا بها نحدرها حتى مررنا بابن
البرصاء فاحتملناه وآحتملنا صاحبنا، وأدركنا القوم حتى نظروا إلينا، ما بيننا وبينهم إلا
الوادي - وادي قديد - فأرسل الله تعالى الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من
غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشئ ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزه، فلقد
رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا، وإنا لنسوق نعمهم ما يستطيع رجل منهم أن يجيز إلينا، ونحن
نحدوها سراعا حتى فتناهم، فلم يقدروا على طلبنا، قال: فقدمنا بها على رسول الله
صلى الله عليه وسلم.
قال آبن سعد: كانوا بضعة عشر رجلا، وكان شعارهم يومئذ: أمت أمت!

سريةإلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك

كانت في صفر سنة ثمان من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد هيأ الزبير بن العوام رضى الله عنه، قال له: سر حتى تنتهي إلى
مصاب أصحاب بشير بن سعد، فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم، وهيأ معه مائتي رجل،

وعقد له لواء، فقدم غالب بن عبد الله من الكديد، وقد أظفره الله، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للزبير: آجلس. وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، فيهم أسامة بن
زيد، فسار حتى آنتهى إلى أصحاب بشير، فأصابوا نعما، وقتلوا قتلى.

سرية شجاع بن وهب

الأسدي إلى بني عامر بالسى

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في أربعة
وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن بالسى، من ناحية ركبة، من وراء المعدن، وهي من
المدينة على خمس ليال، وأمره أن يغير عليهم، فسار حتى صبحهم وهي غارون، فأصابوا
نعما كثيرا وشاء، فآستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، وغابت هذه السرية خمس عشرة
ليلة.

سرية إلى ذات أطلاح

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في شهر ربيع الأول سنة
ثمان من الهجرة في خمسة عشر رجلا، فساروا حتى آنتهوا إلى ذات أطلاح، من أرض
الشام، وهي من وراء وادي القرى، فوجدوا جمعا كثيرا من جمعهم، فدعوهم إلى الإسلام.
فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاتلوه أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح، فأتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى
مواضع أخر، فتركهم.

سرية مؤتة

ومؤتة بأدنى البلقاء بالقرب من الكرك.

كانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

وسبب بعث هذه السرية أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدى إلى ملك بصرى بكتاب،
فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يقتل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم غيره، فآشتد ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف، وهم ثلاثة

آلاف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمير القوم زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن
أبى طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه
عليهم،" وعقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء أبيض وسلمه إلى زيد بن حارثة،
وأوصاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من
هناك إلى الإسلام فإن أجابوا، وإلا فآستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم، وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم وآنصرف عنهم،
فقال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على آمرئ ودعته في النخل خير مودع وخليل

فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون: دفع الله عنكم، وردكم صالحين غانمين! .
فقال آبن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

في أبيات أخر.
قال: فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شر حبيل بن
عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معان من أرض
الشام، وبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء ووائل وبكر
ولخم وجذام والقين، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة؛ يقال له: مالك بن زافلة، فأقاموا
ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشجعهم
عبد الله ابن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون؛ الشهادة،
وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به،
فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة.
فقال الناس: قد والله صدق
آبن رواحة. قال: فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم
والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال المشارف، ثم دنا العدو، وآنحاز المسلمون إلى قرية يقال
لها مؤتة، ووافاهم المشركون، فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والسلاح والكراع

والديباج والحرير والذهب فعبأ المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة يقال له:
قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له:
عباية بن مالك - ويقال: عبادة
- ثم آلتقوا وآقتتلوا، فقاتل زيد بن الحارثة رضى الله عنه براية رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى قتل طعنا بالرماح، ثم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب، فنزل عن فرس له
شقراء فعرقبها، فكانت أول فرس عرقبت في الإسلام، وقاتل حتى قتل، ضربه رجل من
الروم فقطعه نصفين فوجد في أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحا، ووجدنا فيما أقبل من بدنه
آثنتين وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح.
وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت
يده، فأخذه بشماله فقطعت، فآحتضنه بعضديه حتى قتل وهو آبن ثلاث وثلاثين سنة،
فأثابه الله تعالى بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.
وقال محمد بن إسحاق: كان جعفر يقاتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة وآقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
على إن لاقيتها ضرابها

قال: ولما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل
يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتزلنه لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة

وقال أيضا رضى الله عنه:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت
وإن توليت فقد شقيت

يريد بقوله: فعلهما صاحبيه زيدا وجعفرا؛ ثم نزل. فأتاه آبن عم له بعرق من لحم: فقال:
شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتهس منه
نهسة، ثم سمع الحطمة من ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، وأخذ
سيفه وتقدم، فقاتل حتى قتل.
ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم، يا معشر الناس، اصطلحوا على رجل منكم؛ فقالوا: أنت؛

ما أنا بفاعل. فآصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى
بهم، ثم آنحاز وآنحيز عنه، وانكشف، فكانت الهزيمة، فتبعهم المشركون، فقتل من قتل من
المسلمين، ورفعت الأرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر إلى معترك القوم، فلما
أخذ خالد بن الوليد اللواء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الآن حمى الوطيس."
قال محمد بن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخذ الراية
زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا،"
ثم صمت حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله ابن رواحة بعض ما
يكرهون؛ فقال: ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا.
قال آبن إسحاق: وكان قطبة بن قتادة العذرى حمل على مالك بن زافلة فقتله وهو على
المائة ألف التي آجتمعت من العرب، فقال في ذلك:

طعنت آبن زافلة بن الإراش برمح مضى فيه ثم آنحطم
ضربت على جيده ضربة فمال كما مال غصن السلم

قال: ولما سمع أهل المدينة بإقبال جيش مؤتة تلقوهم بالجرف، فجعل الناس يحثون في
وجوههم التراب ويقولون: يا فرار، فررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "ليسوا يفروا، ولكنهم كرار إن شاء الله."
من آستشهد يوم مؤتة
استشهد من قريش ومواليهم أربعة نفر، وهم: جعفر بن أبى طالب، وزيد ابن حارثة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسعود بن الأسود بن حارثة ابن نضلة، ووهب بن
سعد بن أبى سرح. وآستشهد من الأنصار: عبد الله ابن رواحة، وعباد بن قيس،
والحارث بن النعمان بن إساف، وسراقة بن عمرو وأبو كليب وجابر آبنا عمرو بن زيد،
وعمرو وعامر آبنا سعد بن الحارث بن عباد، رضوان الله عليهم أجمعين.
ذات السلاسل
وهي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان
من الهجرة. وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا

من قضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا
عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة
المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسا، وأمره أن يستعين بمن به من بلى وعدرة وبلقين،
فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا كثيرا، فبعث رافع بن مكيث
الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في
مائتين، وعقد لواء، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن
يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعا ولا يختلفا، فلحق بعمرو؛ فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس،
فقال عمرو: إنما قدمت على مددا، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة، وسار حتى
وطئ بلاد بلى، ودوخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عدرة وبلقين، ولقى في آخر
ذلك جمعا، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا في البلاد وتفرقوا، ثم قفل وبعث عوف بن مالك
الأشجعي بريدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأخبره بقفولهم وسلامتهم وما
غزاتهم.

سرية الخبط

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في شهر رجب سنة ثمان من
الهجرة في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار، وفيهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى
حي من جهينة بالقبلية مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليال، فأصابهم في
الطريق جوع شديد، فأكلوا الخبط، وآبتاع قيس بن سعد جزرا ونحرها لهم.

روى عن عبادة بن الصامت قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف
البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جرابا من تمر، فجعل يقوتهم إياه حتى صاروا
إلى أن يعيده لهم عدا، ثم نفد التمر حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم تمرة، فقسمها
يوما بيننا، فنقصت تمرة عن رجل، قال: فوجدنا فقدها ذلك اليوم، فلما جهدنا الجوع أخرج
الله لنا دابة من البحر فأصبنا من لحمها وودكها، فأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنا

وآبتللنا، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها فوضعه على طريقه، ثم أمر بأجسم بعير معنا
فحمل عليه أجسم رجل منا، فخرج من تحتها وما مست رأسه، فلما قدمنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياها،
فقال: رزق رزقكموه الله.
قال ابن سعد: وانصرفوا ولم يلقوا كيدا.
سرية إلى خضرة
وهي أرض محارب بنجد
قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة بن ربعي الأنصاري في شعبان سنة
ثمان من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلا إلى غطفان، وأمره أن يشن عليهم الغارة، فسار
الليل وكمن النهار، فهجم على حاضر منهم عظيم، فأحاط به، فصرخ رجل منهم: يا
خضرة وقاتل منهم رجال، فقتلوا من أشرافهم، وآستاقوا النعم، فكانت الإبل مائتي بعير،
والغنم ألفي شاة، وسبوا سبيا كثيرا، وجمعوا الغنائم، فأخرجوا الخمس، وقسموا ما بقى
على السرية، فأصاب كل رجل منهم آثنا عشر بعيرا، وعدل البعير بعشرة من الغنم،
وصارت في سهم أبى قتادة جارية وضيئة، فآستوهبها منه رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فوهبها له، فوهبها صلى الله عليه وسلم لمحمية بن جزء. وغابوا في هذه السرية
خمس عشرة ليلة.
سرية إلى بطن إضم
سرية أبى قتادة بن ربعى الأنصاري إلى بطن إضم
كانت هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمان من هجرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم.
قالوا: لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر
سرية إلى بطن إضم - وهي فيما بين ذي خشب وذي المروة وبينها وبين المدينة ثلاثة برد
- ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب
بذلك الأخبار، وكان في السرية محلم بن جثامة الليثي، فمر عامر بن الأضبط الأشجعي،
فسلم بنحية الإسلام، فأمسك عنه القوم، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشئ كان

بينهما، وسلبه بعيره ومتاعه، فلما لحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نزل فيهم من
القرآن قوله تعالى: "يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى
إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة" الآية. فمضوا
ولم يلقوا جمعا فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خشب، فبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد توجه إلى مكة، فأخذوا على يين حتى لقوا النبي صلى الله عليه وسلم بالسقيا.

عام الفتح

والسبب الذي أوجب نقض العهد وفسخ الهدنة

كانت هذه الغزوة في رمضان سنة ثمان من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى
رأس آثنين وعشرين شهرا من صلح الحديبية.
وسبب ذلك أنه لما دخل شعبان من هذه السنة كلمت بنو نفاثة - وهم من بنى بكر -
أشراف قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح، وكانت خزاعة قد دخلت في
عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده يوم الحديبية كما قدمنا ذكر ذلك، ودخلت
بنو بكر في عقد قريش وعهدها، قالوا: فلما سألوهم ذلك وسدوهم ووافوهم بالوتير
متنكرين متنقبين، فيهم صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن
الأخيف، فبيتوا خزاعة ليلا، وهم غارون آمنون فقتلوا منهم عشرين رجلا، ثم ندمت
قريش على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للمدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة، فقدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه.
قال ابن إسحاق: قدم عمرو بن سالم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فوقف
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

يا رب إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فآنصر هداك الله نصرا أبدا وآدع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا
يقول: قتلنا وقد أسلمنا، ويروى بدل قوله: قد كنتم ولدا وكنا والدا.
نحن ولدناك فكنت ولدا
قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمر بن سالم.
وروى محمد بن سعد في طبقاته، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر
رداءه ويقول: لا نصرت إن لم أنصر بني كعب مما أنصر منه نفسي.
ثم عرض له سحاب، فقال: إن هذا السحاب ليستهل بنصر بني كعب.
قال محمد بن إسحاق: وقدم بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فأخبره بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين
إلى مكة، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم
ليشد العقد ويزيد في المدة، ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب
بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشد العقد، ويزيد في المدة،
فقال له أبو سفيان: من أين أقبلت يا بديل؟ قال: تسيرت في خزاعة في هذا الساحل وفي
بطن هذا الوادي؛ قال: أو ما جئت محمدا؟ قال: لا، وفارقه، فقال أبو سفيان: لئن كان
بديل جاء إلى يثرب لقد علف النوى بها، فأتى مبرك راحلته فأخذ من بعرها ففته، فرأى
فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا؛ ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على
محمد صلى الله عليه وسلم، فدخل على آبنته أم حبيبة، وذهب ليجلس على فراش النبي
صلى الله عليه وسلم، فطوته، فقال: يا بنية، ما أدرى أرغبت بي عن هذا الفراش، أم
رغبت به عني، قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت رجل مشرك
نجس، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال. والله لقد
أصابك بعدى يا بنية شر، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه،

فلم يرد علمه شيئا، ثم ذهب إلى أبى بكر وكلمه أن يكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فقال: ما أنا بفاعل؛ ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم؟ فو الله لو لم أحد إلا الذر لجاهدتكم به؛ ثم دخل على علي بن
أبى طالب، وعند فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندها الحسن آبنها
غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي إنك أمس القوم بي رحما، وإني قد جئت في حاجة فلا
أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ويحك يا
أبا سفيان، والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه
فيه، فآلتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس
فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بني ذاك أن يجير بين الناس، وما
يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد
آشتدت علي، فانصحني، قال: والله ما أعلم شيئا يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة. فقم
فأجر بين الناس، ثم آلحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مغنيا عنى شيئا؟ قال: لا والله، ما
أظنه، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد
أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره وآنطلق، فلما قدم مكة على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال:
جئت محمدا فكلمته، فو الله ما رد علي شيئا، ثم جئت آبن أبى قحافة فلم أجد فيه
خيرا، ثم جئت آبن الخطاب فوجدته أعدى العدو، ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم، وقد
أشار علي بشئ صنعته، فو الله ما أدرى هل يغني شيئا أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال:
أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك، والله
إن زاد الرجل على أن لعب منك، فما يغني عنك ما فعلت، ثم تجهز رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخفى مقصده، ثم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وامرهم بالجد والتهيؤ،
وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. والله المعين.

خبر حاطب
بن أبى بلعتة في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله
تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، وأخذه الكتاب،
وما أنزل الله عز وجل في ذلك من القرآن
قال: ولما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى
مكة كتب حاطب ابن أبى
بلعتة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الأمر
في المسير إليهم، ثم أعطاه آمرأة يقال إنها من مزينة - وقيل:
هي سارة مولاه لبعض بني عبد
المطلب - وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا، فجعلته في
رأسها ثم فتلت عليه قرونها
وخرجت به، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من
السماء بما صنع حاطب،
فبعث علي بن أبى طالب، والزبير بن العوام رضى الله عنهما،
وقال: أدركا آمرأة قد كتب
معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا في أمرهم،
فخرجا فأدركاها بالخليقة،
خليقة بني أبى أحمد، فآستنزلاها وآلتمسا في رحلها فلم يجدا
شيئا، فقال لها علي: أحلف
بالله لتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنفتشنك، فقالت: أعرض عني،
فأعرض، فجلت قرون
رأسها فآستخرجت الكتاب ودفعته إليه، فأتيا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فدعا
حاطبا فقال: ما حملك على هذا؟ . قال: يا رسول الله، أما والله
إني لمؤمن بالله
وبرسوله، ما غيرت وما بدلت، ولكنني آمرؤ ليس لي في القوم
من أصل ولا عشيرة، ولي بين
أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر: يا رسول
الله، دعني أضرب عنقه، فإن
الرجل قد نافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما
يدريك يا عمر، لعل الله قد
آطلع على أصحاب بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت
لكم."
هذه رواية محمد بن إسحاق.
وقال الشيخ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه
الله: إن المرأة سارة مولاة
عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف، وإنها أتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
مكة إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح
مكة، فقال لها رسول الله

صلى الله عليه وسلم: أمسلمة جئت؟ قالت: لا. قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا؛ قال:
فما حاجتك؟ قالت: كنت كثيرة العشيرة والأصل والموالى، وقد ذهبت موالى، وآحتجت
حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني.
قال لها: فأين أنت من
شباب أهل مكة، وكانت مغنية نائحة، قالت: ما طلب مني شئ بعد وقعة بدر: فحث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها
وأعطوها نفقة؛ فأتاها حاطب بن أبى بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزي، فكتب معها
إلى أهل مكة كتابا، وأعطاها عشرة دنانير.
قال الثعلبي: هذه رواية زاذان عن آبن عباس رضى الله عنهما، قال: وقال مقاتل بن
حيان: أعطاها عشرة دراهم وكساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وكتب
في الكتاب: من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة، إن رسول الله يريدكم، فحذروا
حذركم. فخرجت سارة، ونزل جبريل، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل
حاطب، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، وعمر، والزبير، وطلحة، وعمارا،
والمقداد بن الأسود، وأبا مرثد، وكانوا كلهم فرسانا، وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة
خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين، فخذوه منها،
وخلوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فآضربوا عنقها فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان
الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها
كتاب، فبحثوها، وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا، فهموا بالرجوع، فقال علي رضى
الله عنه: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه، وقال لها: أخرجي الكتاب وإلا والله
لأجردنك، ولأضربن عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذوائبها قد خبأته في شعرها،
فخلوا سبيلها، ولم يتعرضوا لما معها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله صلى الله
عليه وسلم، فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم، قال: ما

حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ
نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع
عشيرته، وكنت غريبا فيهم، وكان أهلي بين ظهرانيهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن
أتخذ عندهم يدا، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغنى عنهم شيئا؛
فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول:
دعني أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما يدر بك يا
عمر، لعل الله قد آطلع على أهل بدر يوم بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم
بدر.
وأنزل الله عز وجل في شأن حاطب ومكاتبته المشركين قوله تعالى: "يأيها الذين آمنوا لا
تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون
الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم،" قال: أي من مكة لأن آمنتم بالله ربكم؛ قال: في
الكلام تقديم وتأخير، ونظم الآية: "لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد
كفروا بما جاءكم من الحق،" ثم قال تعالى: "إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وآبتغاء
مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل،" ثم قال تعالى: "إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم
وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون" قال: يثقفوكم يروكم ويظهروا، ويبسطوا إليكم أيديهم أي
بالقتل، وألسنتهم بالسوء أي بالشتم، وودوا لو تكفرون فلا تناصحوهم فإنهم لا
يناصحونكم ولا يوادونكم.
قوله تعالى: "لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون
بصير" قال: معنى الآية: لا تدعونكم قراباتكم ولا أولادكم التي بمكة إلى خيانة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم، ومظاهرتهم، فلن
تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التي عصيتم الله لأجلهم يوم القيامة يفصل بينكم فيدخل

أهل طاعته والإيمان به الجنة، ويدخل أهل معصيته والكفر به النار.
قوله تعالى: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء
منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى
تؤمنوا بالله وحده" الآية، ثم قال تعالى: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد" قال: قوله: لقد كان لكم فيهم يعنى في
إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء؛ قال: فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم
من المشركين في الله، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، فعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين
بذلك، فأنزل: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله
غفور رحيم؛" قال: ففعل الله عز وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكة، فصاروا
للمؤمنين أولياء وإخوانا، وخالطوهم وناكحوهم.
قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين" معناه: أن تعدلوا فيهم بالإحسان والبر، واختلف
العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية، فقال ابن عباس: نزلت في خزاعة، منهم هلال بن عويمر،
وخزيمة، وسراقة بن مالك ابن جعشم، وبنو مدلج، وكانوا صالحوا النبي صلى الله عليه
وسلم على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحدا.
وقال عبد الله بن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم، وذلك أن أمها
قتيلة بنت عبد العزي بن عبد أسعد من بني مالك بن حسل قدمت عليها المدينة بهدايا
وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية، ولا تدخلي علي بيتي حتى أستأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فسألت لها عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
تدخلها منزلها، وتقبل هديتها، وتحسن إليها، وتكرمها.
وقال مرة الهمذاني وعطية العوفى: نزلت في قوم من بني هاشم، منهم العباس.

ثم قال تعالى: "إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا
على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون"
قال: وهم مشركو مكة.
فلنرجع إلى أخبار غزوة الفتح.
خروج الرسول من المدينة
إلى مكة، ومن جاءه في طريقه قبل دخوله مكة
قال: ولما تهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزاة بعث إلى من حوله من العرب
فجلبهم، وهم أسلم، وغفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة،
ومنهم من لحقه في الطريق، وكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف، وآستخلف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن أم مكتوم؛ قاله محمد بن سعد.
وقال محمد بن إسحاق، وأبو بكر أحمد البيهقي: استخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن
حصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم
الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر، فلما انتهى إلى الصلصل قدم أمامه
الزبير بن العوام في مائة من المسلمين، وسام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس
حتى إذا كان بالكديد بين عسفان وأمج أفطر، ونادى مناديه: من أحب أن يفطر فليفطر،
ومن أحب أن يصوم فليصم.
قال ابن سعد: فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقديد عقد الألوية والرايات
ودفعها إلى القبائل.
قال محمد بن إسحاق: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل مر الظهران
وهو في عشرة آلاف من المسلمين، فسبعت سليم، وبعضهم يقول: ألفت مزينة، وفي كل
القبائل عدد وإسلام، وأوعب معه المهاجرون والأنصار. قال: ولما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض الطريق لقبه عمه العباس بن عبد المطلب.
قال آبن هشام: لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله، وكان قبل ذلك بمكة على سقايته، وقد قدمنا
أنه أسلم عند آنصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر،قال: ولقيه أبو
سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، لقياه بنيق العقاب بين

مكة والمدينة، والتمسا الدخول عليه، وكامته أم سلمة رضى الله عنها فيهما، فقالت: يا
رسول الله، ابن عمك، وآبن عمتك وصهرك فقال: لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتك
عرضي، وأما آبن عمتي وصهري فهو الدي قال لي بمكة ما قال، فلما خرج الخبر بذلك
إليهما ومع أبى سفيان بنى له قال: والله لتأذنن لي أو لآخذن بيد بني هذا، ثم لنذهبن في
الأرض حتى نموت عطشا وجوعا؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق
لهما، ثم أذن لهما فدخلا عليه، فأسلما، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر مما كان قد
مضى من فعله، فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا لمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدى وأهتدى
هداني هاد غير نفسي ودلني على الحق من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهدا عن محمد وأدعي وإن لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهواهم وإن كان ذارأى يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلائط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد
فقل لثقيف: لا أريد قتالها وقل لثقيف تلك: غيري أو عدى
فما كنت في الجيش الذي نال عامرا وما كان عن جرا لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة نزائع جاءت من سهام وسردد

قال: ولما بلغ إنشاده قوله: من طردت كل مطرد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد.
قال: ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران نزلها عشيا، وأمر أصحابه
فأوقدوا عشرة آلاف نار، وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فقال العباس بن عبد المطلب: واصاح قريش، والله لئن دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر
الدهر.
قال العباس: فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجت
عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن، أو ذا حاجة

يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل
أن يدخلها عليهم عنوة.
مجئ العباس بأبى سفيان
بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسلام أبى سفيان، وخبر الفتح
قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه: وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام،
وبديل بن ورقاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبرا
أو يسمعون به، فو الله إني لأسير على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألتمس ما
خرجت له، إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل ابن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول:
ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا، فيقول له بديل: هذه والله خزاعة قد حمستها
الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال العباس:
فعرفت صوته، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: يا أبا الفضل، قلت: نعم، قال:
مالك فداك أبى وأمي! قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله في الناس، واصباح
قريش والله! قال: فما الحيلة فداك أبى وأمي! ، قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن
عنقك، فآركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأستأمنه لك؛ قال: فركب خلفي، ورجع صاحباه؛ قال: فجئت به، كلما مررت بنار من
نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها
قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته، حتى مررت بنار عمر آبن
الخطاب.
قال آبن سعد: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آستعمل عمر تلك الليلة على
الحرس؛ قال العباس: فقال عمر: من هذا؟ قام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة
قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد الله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد
نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركضت البغلة فسبقته، فآقتحمت عن البغلة،

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو
سفيان قد أمكن منه بغير عقد ولا عهد، فدعني أضرب عنقه.
قال العباس، قلت: يا
رسول الله، قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت برأسه
وقلت: والله لا يناجيه الليلة رجل دوني، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلا يا عمر، فو الله
أن لو كان من رجل بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني
عبد مناف؛ فقال عمر: مهلا يا عباس، فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من
إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به؛" قال: فذهب به إلى رحلى، فبات
عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: "ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله،" قال:
بأبى أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن كان مع الله إله غير
لقد أغنى شيئا بعد؛ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ ؛ قال:
بأبى أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما والله هذه فإن في النفس منها حتى
الآن شيئا؛ فقال له العباس: ويحك! أسلم وآشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله
قبل أن تضرب عنقك؛ قال: فشهد شهادة الحق، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل
يحب هذا الفخر، فآجعل له شيئا.
قال: نعم، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل
المسجد فهو آمن؛ فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عباس،
احتبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها." قال: فخرجت
به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه؛ قال: ومرت

القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ .
فأقول: سليم، فيقول: مالي
ولسليم، ثم تمر القبيلة، فيقول: من هذه؟ فأقول: مزينة،
فيقول: مالي ولمزينة، حتى مرت
القبائل، فما تمر قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال:
مالي ولبني فلان! حتى مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء، فيها
المهاجرون والأنصار - وإنما
سميت بالخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها - وهم لا يرى منهم
إلا الحدق من الحديد،
فقال: سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في
المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة،
والله يا أبا الفضل لقد أصبح
ملك آبن أخيك الغداة عظيما. قلت: ويحك! إنها النبوة، قال:
فنعم إذا، ثم قلت: النجاء
إلى قومك، فسار حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر
قريش، هذا محمد قد
جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن،
فقامت إليه هند بنت
عتبة فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس،
قبح من طليعة قوم! قال:
ويلكم! لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم
به، فمن دخل دارى
فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغنى عنا دارك؟ قال: ومن
أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن
دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى
المسجد. والله يؤيد بنصره من
يشاء.

دخول مكة

شرفها الله تعالى صلحا، ودخول خالد بن الوليد
ومن معه من القبائل عنوة

قال: ولما آنتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي
طوى، وقف على راحلته معتجرا
بشقة برد حبرة حمراء وإنه ليضع رأسه تواضعا لله تعالى حين
رأى ما أكرمه الله به من
الفتح، حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسط الرحل، ثم فرق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
الجيش من ذي طوى، وكانت راية رسول الله صلى الله عليه
وسلم يومئذ مع سعد بن
عبادة رضى الله عنه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الزبير بن العوام، وكان على

المجنبة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كدى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض
الناس من كداء، فلما وجه سعد للدخول قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، وفي
رواية تستحل الكعبة؛ فسمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا رسول الله، اسمع
ما قال سعد بن عبادة، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعلي بن أبى طالب: أدركه فخذ الراية منه، فآدخل أنت بها. حكاه آبن
إسحاق.
وقال محمد بن سعد: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الراية من سعد ودفعها
لآبنه قيس بن سعد.
وذكر يحي بن سعيد الأموي في السير: أن سعد بن عبادة لما أخذ الراية مر على أبى
سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه. اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله
قريشا، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان
ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا،
وقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا؛ وإني أنشدك الله في
قومك، فأنت أبر الناس وأوصلهم وأرحمهم.
وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، والله ما نأمن سعدا أن تكون منه
قريش صولة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم
أعز الله فيه قريشا." وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ:

يا نبي الهدى إليك لجا حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إله السماء
وآلتقت حلقتا البطان على القو م ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعدا يريد قاصمة الظه ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغي ظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشئ غير سفك الدما وهتك النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هند بالسوءة السوآء
إذ ينادى بذل حي قريش وآبن حرب بدا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في أكف الإماء
فآنهيه فإنه أسد الأس د لدى الغاب والغ في الدماء

إنه مطرق يريد لنا الأم ر سكوتا كالحية الصماء
قال: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده،
وجعله بيد قيس آبنه، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللواء لم يخرج عنه إذ
صار إلى آبنه، وأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامته، فعرفها سعد، فدفع اللواء إلى آبنه
قيس.
قال: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد، وكان على المجنبة اليمنى، أن
يدخل ببعض الناس من الليط أسفل مكة، وكان معه: أسلم، وسليم وغفار، ومزينة،
وجهينة، وقبائل من العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، وضربت له هناك قبة، ونهى عن القتال، وعبر أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأماكن التي أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يدحلوا
منها، لم يلقوا كيدا، إلا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبى جهل، وسهيل
بن عمرو جمعوا جمعا من قريش، ووقفوا بالخندمة ليقاتلوا خالد بن الوليد، ويمنعوه من
الدخول، وشهروا السلاح ورموا بالنبل، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم، فقتل أربعة
وعشرون رجلا من قريش، وأربعة نفر من هذيل، وانهزموا أقبح هزيمة، فلما ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ثنية أذاخر رأى البارقة فقال: ألم أنه عن القتال؟ فقيل: يا
رسول الله، إن خالد بن الوليد قوتل فقاتل؛ فقال: قضاء الله خير، وقتل من المسلمين رجلان
كانا سلكا طريقا غير طريق خالد فقتلا، وهما كرز بن جابر الفهري، وحبيش بن خالد
الخزاعي. قاله محمد بن سعد.
وقال آبن إسحاق: قتل من المشركين يومئذ آثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلا. وقال: وقد كان
حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يعد سلاحا ويصلح منه قبل دخول رسول الله صلى

الله عليه وسلم، فقالت له آمرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما
أراه يقوم لمحمد وأصحابه شئ؛ قال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فمالي علة هذا سلاح كامل وأله
وذو غرارين سريع السلة

ثم شهد يوم الخندمة، فلما آنهزم القوم دخل على آمرأته وقال: أغلقي علي بابي؛ قالت:
فأين الذي كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمة
وآبو يزيد قائم كالموتمه وآستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطن كل ساعد وجمجمة ضربا فلا تسمع إلا غمغمة
لهم نهيت خلفنا وهمهمة لا تنطقي في اللوم أدنى كلمة

قال آبن هشام: ويروى للرعاش الهذلي.
وكان ممن فر يومئذ هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو زوج
أم هاني بنت أبى طالب أخت علي لأبويه؛ فأسلمت، وهرب هبيرة إلى نجران، وقال
معتذرا من فراره:

لعمرك ما وليت ظهري محمدا وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلى
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي رجعت لعود كالهزبر إلى الشبل

قال آبن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
وحنين والطائف: شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله،
وشعار الأوس: يا بني عبيد الله؛ وكان الفتح يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان.

من أمر الرسول بقتلهم

يوم فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه

قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه بقتل ستة نفر وأربع نسوة،
وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، وهم: عكرمة بن أبى جهل، وهبار ابن الأسود، وعبد
الله بن سعد بن أبى سرح، ومقيس بن صبابة الليثي، والحويرث ابن نقيذ بن وهب، وعبد
الله بن هلال بن خطل الأدرمى، وهند بنت عتبة، وسارة مولاة عمرو بن هشام، وفرتنى،
وقريبة.

فأما عكرمة بن أبى جهل فإنه هرب إلى اليمن، وأسلمت آمرأته أم حكيم بنت الحارث بن
هشام، فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن
حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم وحسن إسلامه.
حكى الزبير بن بكار قال: لما أسلم عكرمة قال: يا رسول الله، علمني خير شئ تعلمه
أقوله؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن
محمدا عبده ورسوله،" فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا، واشهد بذلك من حضرني، وأسالك
يا رسول الله أن تستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال عكرمة: والله لا أدع
نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالا قاتلته إلا
قاتلت ضعفه؛ ثم آجتهد في الجهاد والعبادة حتى آستشهد رحمه الله في خلافة عمر بن
الخطاب بالشام؛ وقيل: استشهد في آخر خلافة أبى بكر، قيل: في يوم اليرموك. وقيل: في يوم
مرج الصفر، وقيل: أجنادين. والله أعلم.
وأما عبد الله بن سعد بن أبى سرح، فإنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم الوحي؛ فارتد ورجع إلى قريش، فلما كان يوم الفتح فر إلى عثمان بن عفان
رضى الله عنه، وهو أخوه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فأستأمن له بعد أن آطمأن الناس؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
صمت طويلا، ثم قال: نعم؛ فلما انصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه: لقد
صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه، فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول
الله؟ فقال: إن النبي لا يقتل بالإشارة، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك.
وأما مقيس بن صبابة، فإن أخاه هشام بن صبابة كان قد صحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة بني المصطلق بالمريسيع، فأصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن
الصامت وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ، فقدم مقيس هذا على رسول الله صلى الله

عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وأظهر الإسلام، وقال: يا رسول الله، جئتك مسلما،
وجئتك أطلب دية أخي، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه، فأقام غير
كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدا، فنذر رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتله لذلك، فقتله نميلة بن عبد الله؛ رجل من قومه.
وأما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن أبى طالب رضى الله عنه، لأنه كان يؤذي رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وكان العباس بن عبد المطلب حمل بنتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاطمة وأم كلثوم من مكة يريد بهما المدينة، فرمى بهما الحويرث إلى الأرض.
وأما عبد الله بن خطل، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان مسلما،
فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا، وبعث معه رجلا من الأنصار، وكان معه
مولى له يخدمه وهو مسلم، فنزل منزلا وأمر المولى أن يذبح له تيسا، فيصنع له طعاما، فنام
وآستيقظ ولم يصنع له شيئا، فقتله ثم آرتد، وكانت فرتنى وقريبة قينتاه تغنيان بهجاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقتل آبن خطل سعيد بن حريث المخزومي، وأبو برزة
الأسلمي، اشتركا في دمه، وقتلت إحدى قينتيه وهربت الأخرى، حتى آستؤمن لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فأمنها.
وهند بنت عتبة أسلمت. ولما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على
النساء، ومن الشرط فيها ألا يسرقن ولا يزنين، قالت: وهل تزنى الحرة أو تسرق يا رسول
الله؟ فلما قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربيناهم صغارا، وقتلتهم أنت ببدر كبارا، أو
نحو هذا القول، وشكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زوجها أبا سفيان شحيح
لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها، فقال: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك أنت
وولدك.
وأما سارة فآستؤمن لها، فأمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأما هبار فإنه هرب فلم يوجد، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه.
إسلام أبى قحافة

عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب
روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت:
لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذي طوى قال أبو قحافة لآبنة له من أصغر
ولده: أي بنية، اظهرى بي على جبل أبى قبيس - قالت: وكان قد كف بصره - فأشرفت
به عليه فقال لها: أي بنية؛ ماذا تين؟ قالت: أرى سوادا مجتمها، قال: تلك الخيل؛ قالت:
وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلا ومدبرا؛ قال: أي بنيه، ذلك الوازع، - يعني
الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد؛ فقال: قد والله إذا دفعت
الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي؛ قالت: فآنحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته؛ قالت:
وفي عنق الجارية طوق من ورق، فتلقاها رجل فاقتطعه من عنقها، فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟ قال أبو بكر: يا رسول
الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره،
ثم قال له: أسلم، قالت: فأسلم؛ قالت: فدخل به أبو بكر وكأن رأسه ثغامة، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: غيروا هذا من شعره، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال:
أنشد الله والإسلام طوق أختي؛ فلم يجبه أحد؛ قالت: فقال: أي أخية، احتسبي طوقك،
فو الله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل.
وأسلم عبد الله بن الزبعري عام الفتح وحسن إسلامه، وكان ممن يؤذي رسول الله صلى
الله عليه وسلم أشد الأذى في الجاهلية، فأسلم وآعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فقبل عذره، وكان شاعرا مجيدا، فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: وله
في مدحه أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى في كفره، منها قوله:

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامنى فيه فبت كأنني محموم
يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم

إني لمعتذر إليك من الذي أسديت إذا أنا في الضلال مقيم
أيام تأمرني بأغوى خطة سهم، وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني أمر الغواة، وأمرهم مشؤم
فاليوم آمن بالنبي محمد قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وآنقضت أسبابها وأتت أواصر بيننا وحلوم
فآغفر فدى لك والدي كلاهما وآرحم فإنك راحم مرحوم
وعليك من سمة المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه شرفا وبرهان الإله عظيم

دخول الرسول المسجد
، وطوافة بالبيت
ودخوله الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال: ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وآطمأن الناس، خرج حتى جاء
البيت، فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه دعا
عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من
عيدان، فكسرها بيده وطرحها، ثم وقف على باب الكعبة فقال: "لا إله إلا الله وحده لا
شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال
يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج؛ ألا وقتيل الخطأ شبه العمد
بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها؛ يا
معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نحوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم
من تراب، ثم تلا قوله تعالى: "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير؛" ثم قال: يا معشر قريش؛ ما
ترون أني فاعل فيكم؟ أخ كريم وآبن أخ كريم؛ قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء؛ ثم جلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فقام إليه علي بن أبى طالب رضى الله عنه ومفتاح
الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال: أين عثمان بن
طلحة؟ فدعى له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء؟ حكاه محمد بن
إسحاق.

وقال محمد بن سعد: دفع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح وقال: "خذوها يا

بني أبى طلحة تالدة خالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم؛" ودفع السقاية إلى العباس بن عبد
المطلب.
قال عبد الملك بن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا
في يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن
إبراهيم والأزلام، ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.
قال: ودخل الكعبة ومعه بلال بن رباح، فأمره أن يؤذن، فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب
بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد: أكرم الله أسيدا
ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه؛ فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لآتبعته؛ فقال
أبو سفيان: لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى؛ فخرج عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال: "قد علمت الذي قلتم،" ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث
وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما آطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك.
وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى آبن عباس رضى الله عنهما: إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام
مشدودة بالرصاص، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام
ويقول: "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا،" فما أشار صلى الله عليه وسلم
إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا لقفاه إلا وقع لوجهه.
حتى ما بقى منها صنم إلا وقع.
قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما، وكان أعظمها هبل، وساق
الحديث نحو ما تقدم، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:
وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا
قال: ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الظهر فقال:

"إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، ولم تحل لي إلا
ساعة من نهار، ثم رجعت لحرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ولا يحل لنا من
غنائمها شئ،" وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين
ركعتين، وبث السرايا، ثم خرج إلى حنين.

سرية إلى العزى

وهدمها قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها،
وذلك بعد الفتح، لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان، فخرج في ثلاثين فارسا من
أصحابه حتى آنتهوا إليها فهدمها، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال:
"هل رأيت شيئا؟" قال: لا، قال: فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فآهدمها؛ فرجع خالد وهو
متغيظ، فجرد سيفه، فخرجت إليه آمرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس فجعل السادن يصيح
بها، فضربها خالد فجزلها آثنتين، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره،
فقال: نعم، تلك العزى، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا، وكانت لقريش وجميع بني كنانة،
وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شيبان من بني سليم.

سرية عمرو
بن العاص إلى سواع وكسره

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بعد الفتح أيضا إلى سواع، وهو
صنم هذيل ليهدمه؛ قل عمرو: فآنتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لم؟ قال: تمنع؛
قلت: حتى الآن أنت في الباطل ويحك! وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرته،
وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئا؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟
قال: أسلمت لله.

سرية سعد بن زيد
الأشهلي إلى مناة

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان أيضا إلى مناة - وكانت بالمشلل
للأوس والخزرج وغسان - ليهدمها، فخرج في عشرين فارسا حتى آنتهى إليها وعليها

سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي
إليها، وتخرج إليه آمرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها؛ فقال
السادن: مناة دونك بعض غضباتك؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها، ويقبل إلى الصنم معه
أصحابه، ولم يجدوا في خزانتها شيئا، وآنصرف راجعا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان.
سرية إلى بني جذيمة
بن عامر
آبن عبد مناة بن كنانة، وهو يوم الغميصاء
قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم
بمكة، بعثه في شوال إلى بني جذيمة بن عامر، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية
يلملم؛ داعيا إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلا، فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين
والأنصار وبني سليم، فآنتهى إليهم خالد بن الوليد، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد
صلينا وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا، وادنا فيها؛ قال: فما بال السلاح
عليكم؟ فقالوا: إن بيننا وبين بعض العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح؛
قال: فضعوا السلاح؛ قال: فوضعوه، فقال لهم: استأسروا؛ فآستأسر القوم، فأمر بعضهم
فكتف بعضا وفرقهم في أصحابه، فلما كان في السحر نادى خالد: من كان معه أسير
فليدافه؛ أي فليجهز عليه بالسيف.
فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم، فبلغ
النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع خالد، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد؛ وبعث
علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم.
وقد حكى أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني، خبر هذه السرية في قصة عبد الله بن
علقمة أأحذ بن عامر بن عبد مناة بن كنانة وخبر مقتله، وذكر خبره مع حبيشة، فروى
بسند رفعه إلى آبن دأب قال: كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ
ذاك يفعة: دون المحتلم، لتزور جارة لها، وكانت لها بنت يقال لها: حبيشة إحدى بنات

عامر بن عبد مناة، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه؛ فآنصرف وترك
أمه عند جارتها، فبقيت عندها يومين، ثم أتاها ليرجعها إلى منزله، فوجد حبيشة قد
زينت لأمر كان في الحي، فازداد بها عجبا، وآنصرف بأمه في غداة تمطر، فمشى معها
وجعل يقول:

فما أدرى بلى إني لأرى أصوب القطر أحسن أم حبيش
حبيشة والذي خلق الهدايا وما إن عندها للصب عيش

قال: فسمعت ذلك حبيشة، فتغافلت عنه، وكرهت قوله، ثم مشى مليا فإذا هو بظبي
على ربوة من الأرض، فقال:

يا أمتا خبريني غير كاذبة وما يريد مسول الحق بالكذب
أأنت أحسن أم ظبي برابية لا بل حبيشة في عيني وفي أربى

قال: فزجرته أمه، وقالت: ما أنت وهذا، أنا مزوجتك بنت عمك، فهى أجمل من تلك،
وأتت آمرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت: زيني آبنتك له، ففعلت وأدخلتها عليه، فلما رآها
أطرق، فقالت له أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا
كأن الحشا حر السعير يحشه وقود الغضى فالقلب مضطرم جمرا

قال: وجعل يراسل الجارية وتراسله، حتى علقته كما علقها، وكثر قوله الشعر فيها، فمن
ذلك قوله:

حبيشة هل جدى وجدك جامع بشملكم شمل وأهلكم أهلي؟
وهل أنا ملتف بثوبك مرة بصحراء بين الأيكتين إلى النخل؟
ومرتشف من ريق ثغرك مرة كراح ومسك خالطا عسل النحل

فلما بلغ أهلها خبره، حجبوها عنه مدة، وهو يزيد غراما بها، ويكثر قوله الشعر فيها،
فأتوها لها: عدية السرحة، فإذا أتاك فقولي له: نشدتك الله إن أحببتني فما على الأرض
شئ أبغض إلى منك، ونحن قريب نسمع ما تقولين؛ فواعدته، وجلسوا قريبا يسمعون،
وجلست عند السرحة، وأقبل عبد الله لموعدها، فلما دنا منها دمعت عينها، وآلتفتت
حيث أهلها جلوس، فعرف أنهم قريب، فرجع، وبلغه ما أمروها به أن تقوله، فأنشأ يقول:

فلو قلت ما قالوا لزدت جوى جو على أنه لم يبق ستر ولا صبر

ولم يك حبى عن نوال بذلته فيسليني عنك التجلد والهجر
وما أنس م الأشياء لم أنس دمعها ونظراتها حتى يغيبني القبر
قال: وبعث النبي صلى الله عليه وسلم على أثر ذلك خالد بن الوليد إلى بني عامر، وأمره
أن يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا قاتلهم، فصبحهم خالد بالغميصاء وقد علموا به
وخافوه، وكانوا قد قتلوا الفاكه بن الوليد وعمه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية، فلما صبحهم
خالد ومعه بنو سليم وهم يطلبونهم بمالك آبن خالد بن صخر بن الشريد، وإخوته كرز
وعمرو والحارث، وكانوا قتلوهم في موطن واحد. فلما صبحهم خالد ورأوا معه بني سليم
زادهم ذلك نفورا، فقال لهم خالد: أسلموا، فقالوا: نحن مسلمون؛ قال: فألقوا سلاحكم
وآنزلوا، قالوا: لا والله؛ فقال لهم حذيم بن الحارث أحد بني أقرم: يا قوم، لا تلقوا سلاحكم،
فو الله ما بعد وضع السلاح إلا القتل؛ قالوا: والله لا نلقى سلاحنا ولا ننزل، فما نحن لك
ولا لمن معك بآمنين؛ قال خالد: فلا أمان لكم؛ فنزلت فرقة منهم فأسروهم، وتفرق بقية
القوم فرقتين؛ فأصعدت فرقة وسفلت أخرى.
قال آبن دأب: فأخبرني من لا أتهم عن عبيد الله بن أبى حدرد الأسلمي قال: كنت يومئذ
في جند خالد، فبعثنا في إثر ظعن مصعدة يسوق بها فتية، فقال: أدركوا أولئك؛ فخرجنا
في أثرهم حتى أدركناهم، فمضوا، ووقف لنا غلام على الطريق، فلما ننتهينا إليه جعل
يقاتلنا ويرتجز ويقول:
أرخين أطراف الذيول وآرتعن مشى حييان كأن لم يفزعن
إن يمنع اليوم نساء تمنعن
فقاتلنا طويلا، فقتلناه ومضينا، حتى لحقنا الظعن، فخرج إلينا غلام كأنه الأول، فجعل
يقاتلنا ويقول:
أقسم ما إن خادر ذو لبده يرزم بين أيكة ووهده
يفرس ثنيان الرجال وحده بأصدق الغداة مني نجده
فقاتلناه حتى قتلناه، وأدركنا الظعن، وإذا فيهن غلام وضئ به صفرة في لونه كالمنهوك،
فربطناه بحبل، وقدمناه لنقتله، فقال: هل لكم في خير؟ قلنا: ما هو؟ قال: تدركون بي
الظعن أسفل الوادي ثم تقتلونني؛ قلنا: نفعل؛ فخرجنا حتى نعارض الظعن بأسفل الوادي،

فلما كان بحيث يسمعون الصوت، نادى بأعلى صوته: اسلمى حبيش، عند فقد العيش؛
فأقبلت إليه جارية بيضاء حسناء؛ فقالت: وأنت فآسلم على كثرة الأعداء، وشدة البلاء؛
قال: سلام عليك دهرا، وإن بقيت عصرا؛ فقالت: وأنت سلام عليك عشرا، وشفعا
ووترا، وثلاثة تترى؛ فقال:

إن يقتلوني يا حبيش فلم يدع هواك لهم منى سوى غلة الصدر
فأنت التي أخليت لحمى من دمي وعظمى وأسبلت الدموع على نحرى

فقالت له:

ونحن بكينا من فراقك مرة وأخرى وآسيناك في العسر واليسر
وأنت فلا تبعد فنعم فتى الهوى جميل العفاف والمودة في ستر

فقال لها:

أريتك إن طالبتكم فوجدتكم بحرة أو أدركتكم بالخوانق
ألم يك حقا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق

فقالت: بلى والله، فقال:

فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرة أثيبي بود قبل إحدى الصفائق
أثيبي بود قبل أن تشحط النوى وبنأى الخليط بالحبيب المفارق

قال ابن أبى حدود: فقدمناه فضربنا عنقه، فآقتحمت الجارية من خدرها حتى أهوت
نحوه، فآلتقمت فاه، فنزعنا منها رأسه، وإنها لتتبع نفسها حتى ماتت مكانها، وأفلت من
القوم غلام من بني أقرم يقال له السميدع حتى آقتحم على رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فأخبره ما صنع خالد وشكاه. قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: "هل أنكر عليه أحد ما صنع؟" قال: نعم، رجل أصفر ربعة،
ورجل طويل أحمر؛ فقال عمر رضى الله عنه: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأول فهو
آبني، وأما الآخر فمولى أبى حذيقة، وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيرا أن يقتله، فأطلق
عبد الله بن عمرو سالم. ولى حذيقة أسيرين كانا معهما، فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم علي بن أبى طالب بعد فراغه من حنين، وبعث معه بإبل وورق، وأمره أن يديهم،

فوداهم، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله، فقال: قدمت عليهم فقلت
لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا بما أصيب منكم من القتلى والجرحى، وتحللوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما علم ومما لم يعلم؟ ، فقالوا: نعم، قال: فدفعته إليهم، وجعلت أديهم
حتى إني لأدى ميلغ الكلب.
وفضلت فضلة فدفعتها إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقبلوها؟ قلت:
نعم؛ قال: فو الذي أنا عبده لذاك أحب إلى من حمر النعم.
وروى أبو الفرج أيضا بسند رفعه إلى عمر بن شبة، قال: قالوا: يروى أن خالدا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم فسئل عن غزاته بنى جذيمة، فقال: إن أذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تحدثت، فقال: تحدث، فقال: لقيناهم بالغميصاء بعد وجه الصبح، فقاتلناهم
حتى كاد قرن الشمس يغيب، فمنحنا الله عز وجل أكتافهم، فاتبعناهم نطلبهم، فإذا غلام
له ذوائب على فرس في أخريات الناس، فبوأت له الرمح فوضعته بين كتفيه. فقال: لا إله،
فقبضت الرمح، فقال: إلا اللات أحسنت أو أساءت، فهشمته هشمة أرديته بها، ثم أخذته
أسيرا، فشدته وثاقا، ثم كلمته فلم يكلمني، وآستخبرته فلم يخبرني؛ فلما كان ببعض الطرق
رأى نسوة من بني جذيمة يسوق بهن المسلمون، فقال: يا خالد، فقلت: ما تشاء؟ فقال: هل
أنت واقفي على هذه النسوة؟ فآبيت، فآلى على أصحابي، ففعلت، وفيهن جارية تدعى
حبيشة، فقال: لها: ناوليني يدك، فناولته يدها في ثوبها، فقال: اسلمى حبيش، قبل نفاد
العيش. فقالت: حييت عشرا، وتسعا تترى، وثمانيا أخرى، فقال:

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بنخلة أو أدركتكم بالخوانق
ألم يك حقا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى والودائق

فقالت: بلى، فقال:

فقد قلت إذ أهلى وأهلك جيرة أثيبي بود قبل إحدى الصفائق
أثيبي بود قبل أن تشحط النوى وينأى الأمير بالحبيب المفارق

فإني لا ضيعت سر أمانة ولا راق عيني بعد عينك رائق
قال خالد: فغاظني ما رأيت من غزله وشعره في حاله تلك، فقدمته فضربت عنقه، فأقبلت

الجارية تسعى حتى أخذت برأسه فوضعته في حجرها، وجعلت ترشفه وتقول:

لا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا ولا يبعدن المدح مثلك من مثلي
ولا تبعدن يا عمر حيا وهالكا فقد عشت محمود الثنا ماجد الفعل
فمن لطراد الخيل تشجر بالقنا وللنحر يوما عند قرقرة البزل

فما زالت تبكي وتردد هذه الأبيات حتى ماتت، وإن رأسه لفى حجرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد وقفت لي يا خالد وإن سبعين ملكا لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلته." والله أعلم.

حنين

وهي إلى هوازن وثقيف

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان من مهاجره. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة، مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا وأوعبوا وبغوا، وجمع أمرهم مالك بن عوف النصرى، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، وأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوطاس، وجعلت الأمداد تأتيهم.

قال محمد بن إسحاق: اجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، ونصر، وجشم كلها، وسعد بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل. قال: ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم؛ قال: وفي بني جشم دريد بن الصمة، وهو شيخ كبير ليس فيه شئ إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب. قال: وفي ثقيف سيدان لهم في الأحلاف: قارب بن الأسود آبن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك، وأخوه.

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: كان على ثقيف كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقيفي. قال: وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف.

قال ابن إسحاق: وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف. قال: ولما نزل مالك بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمة، والصمة: معاوية الأصغر بن بكر آبن علقة، وقيل:

علقمة بن خزاعة بن غزبة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن في شجار له يقاد به -
والشجار الهودج - فلما نزل دريد قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال
الخيل، لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، ثم قال: مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير،
وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم
وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس
قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير،
وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم؟
قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم،
قال: فأنقض به - أي صاح
- ثم قال: راعي ضأن والله! وهل يرد المنهزم شئ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل
بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟
قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد؛ ولو كان يوم علاء ورفعه لم تغب عنه
كعب وكلاب، ولوددت أنكم فعلتم كما فعلت، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر،
وعوف بن عامر، قال: ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران، يا مالك: إنك لم تصنع
بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئا، ادفعهم إلى متمنع بلادهم، وعليا
قومهم، ثم آلق الصباء على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت
عليك ألفاك ذلك، قد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا والله، لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر
عقلك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من
ظهرى. وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر ورأى، قالوا: أطعناك، فقال دريد: هذا
يوم لم أشهده ولم يفتنى.

ياليتني فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

ثم قال مالك بن عوف للناس: إذا رأيتوهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل

واحد؛ قال: وبعث مالك بن عوف عيونا من رجاله، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم من
الرعب، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالا بيضا، على خيل بلق، فو الله ما
تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فلم يرده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.
قال آبن إسحاق: ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم بعث إليهم عبد الله
بن أبى حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه
بخبرهم، ففعل؛ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر، فأجمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى هزازن لقتالهم، وذكر له أن عند صفوان بن أمية
أدراعا وسلاحا، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: أعرنا سلاحك نلق به عدونا؛ فقال:
أغصبا يا محمد؟ فقال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك؛ قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه
مائة درع بما يكفيها من السلاح، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم
السبت لست ليال خلون من شوال في آثنى عشر ألفا من المسلمين: عشر آلاف من
أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة.
قال الثعلبى: قال مقاتل: كانوا أحد عشر ألفا وخمسمائة.
وقال الكلبى: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: لن نغلب اليوم من قلة، حكاه آبن إسحاق.
وقال محمد بن سعد: قال ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه.
قال الثعلبى: ويقال: بل
قال ذلك رجل من المسلمين يقال له: سلمة بن سلامة.
قال آبن سعد: وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من المشركين كثير، منهم
صفوان بن أمية.
قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان لكفار قريش ومن سواهم
من العرب سدرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة يعلقون أسلحتهم
عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوما؛ قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل
لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده كما قال
قوم موسى لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إنها السنن، لتركبن
سنن من كان قبلكم، قالوا: وآنتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين مساء ليلة
الثلاثاء لعشر خلون من شوال، فلما كان الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في
وادى حنين، وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حملة
واحدة، وعبأ رسول الله صلى الله عليه وأصحابه في السحر، ووصفهم صفوفا، ووضع
الألوية والرايات في أهلها مع المهاجرين: لواء يحمله علي بن أبى طالب، وراية يحملها سعد
بن أبى وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب، ولواء الخزرج يحمله حباب بن المنذر -
ويقال: سعد بن عبادة - ولواء الأوس مع أسيد بن حضير، وفي كل بطن من الأوس
والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم مسمى، وكذلك قبائل العرب فيها الألوية والرايات
يحملها قوم منهم مسمون، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قدم سليما من يوم
خرج من مكة، وآستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدمة حتى قدم الجعرانة.
قال: وآنحدر رسول الله صلى الله عليه وسلم في وادي حنين على تعبئته، وركب بغلته
البيضاء دلدل، ولبس درعين والمغفر والبيضة، فآستقبلهم من هوازن شئ لم يروا مثله قط
من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وسعته،
فحملوا حملة، وآنكشفت الخيل خيل بني سليم مولية، وتبعهم الناس منهزمين، وآنحاز رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، وجعل يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد
الله ورسوله، وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبى
طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان وآسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه
ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد في أناس من أهل بيته

وأصحابه.
قال الكلبى: كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة من المسلمين، وآنهزم
سائر الناس عنه، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للعباس: ناد، يا معشر
الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة، فنادى - وكان صيتا - فأقبلوا
كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها يقولون: يالبيك يالبيك!
فحملوا على المشركين، فأشرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال: ألان حمى الوطيس.
أنا النبي لا كذب أنا آبن عبد المطلب
ثم قال للعباس بن عبد المطلب: ناولني حصيات، فناوله حصيات من الأرض، ثم قال:
شاهت الوجوه ورمى بها وجوه المشركين، وقال: انهزموا ورب الكعبة وقذف الله في قلوبهم
الرعب، وآنهزموا لا يلوى أحد منهم على أحد.
قال محمد بن إسحاق: لما آنهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جفاة مكة الهزيمة، تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا
تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمعه في كنانته، وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه
صفوان بن أمية: ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك! فو الله لأن
يربنى رجل من قريش أحب إلى من أن يربنى رجل من هوازن؛ وقال شيبة بن عثمان بن
أبى طلحة: اليوم أدرك ثأرى من محمد - وكان أبوه قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمدا. قال:
فبادرت لأقتله، فأقبل شئ حتى غشى فؤادى، فلم أطلق ذلك، فعلمت أنه ممنوع منى.
وفي رواية أخرى، قال شيبة بن عثمان: استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، وعثمان بن طلحة، فأطلع الله رسوله على ما في
نفسى، فآلتفت إلى وضرب في صدرى وقال: أعيذك بالله يا شيبة، فأرعدت فرائصى،
فنظرت إليه وهو أحب إلى من سمعى وبصرى فقلت: أشهد أنك رسول الله، وأن الله
أطلعك على ما في نفسى.
وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال: إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم

آخذ بحكمة بغلته البيضاء وقد شجرتها بها، وكنت آمرأ جسيما شديد الصوت، ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس: أين أيها الناس، فلم أر الناس
يلوون على شئ، فقال: يا عباس، اصرخ، يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمرة قال:
فأجابوا لبيك لبيك، قال: فيذهب الرجل ليثنى بعيره فلا يقدر على ذلك، ويأخذ درعه
فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلى سبيله، فيؤم الصوت حتى
ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا آجتمع إليه منهم مائة آستقبلوا الناس
فآقتتلوا؛ فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه، فنظر إلى مجتلد القوم، فقال:
ألان حمى الوطيس.
قال جابر بن عبد الله: فو الله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا
الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال ابن إسحاق: وآلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أم سليم ابنة ملحان،
وكانت مع زوجها أبى طلحة، وهي حازمة وسطها ببرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى
طلحة، ومعها جمل أبى طلحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أم سليم؟ قالت:
نعم، بأبي وأمي يا رسول الله! اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك
فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يكفي الله يا أم سليم؟ قال:
ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته
إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به.
وقال محمد بن إسحاق: حدثني أبى إسحاق بن يسار أنه حدث عن جبير ابن مطعم قال:
لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط
بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ولم
تكن إلا هزيمة القوم.
قال ابن إسحاق: ولما آنهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم
بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من

سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان – وهو
ابن الدغنة - دريد بن الصمة وهو في شجار له أي هودج، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه
آمرأة، فأناخ به، فإذا هو شيخ كبير والغلام لا يعرفه، فقال له دريد: ما تريد بي؟ قال:
أقتلك؛ قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمى، ثم ضربه بسيفه فلم يغن فيه
شيئا، فقال: بئس ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل في الشجار، ثم
آضرب به، وآرفع عن العظام، وآخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم
إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك؛
فقتله. ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك
ثلاثا.
قال ابن هشام: ويقال إن الذي قتل دريد بن الصمة هو عبد الله بن قنيع آبن أهبان بن
ثعلبة بن ربيعة؛ قال: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس
أبا عامر الآشعرى، فأدرك بعض من آنهزم، فماوشوه القتال، فقتل منهم أبو عامر تسعة
مبارزة وهو يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول: اللهم آشهد؛ ثم برز له العاشر معلما
بعمامة صفراء، فضرب أبا عامر فقتله. وآستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعرى، فقاتلهم
حتى فتح الله عليه، وقتل قاتل أبى عامر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم
آغفر لأبي عامر وآجعله من أعلى أمتي في الجنة،" ودعا لأبى موسى.
وقال آبن هشام في خبر أبى عامر: إنه قتل تسعة مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام
ويقول: اللهم آشهد عليه، فيقتله أبو عامر، وبقى العاشر، فحمل كل منهما على صاحبه،
فدعا أبو عامر إلى الإسلام وقال: اللهم آشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي،
فكف عنه أبو عامر، فأفلت، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا رآه قال: "هذا شريدا أبى عامر،" ورمى أبا عامر أخوان: العلاء وأوفى ابنا

الحارث من بني جشم آبن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه. والآخر ركبته، فقتلاه، وولى
الناس أبو موسى فحمل عليهما فقتلهما.
وقال أبو الفرج الأصفهاني: إن الذي رمى أبا عامر فأصاب ركبته هو سلمة آبن دريد بن
الصمة. وإنه آرتجز فقال:
إن تسألوا عني فإني سلمه ابن سمادير لمن توسمه
أضرب بالسيف رءوس المسلمه
قال: وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق،
وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم وتلحق أخراكم، فوقف حتى مضى من لحق
بهم من منهزمة الناس.
قال آبن هشام: وبلغني أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية، فقال لأصحابه: ماذا
ترون؟ قالوا نرى قوما واصعى رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بوادهم فقال: هؤلاء بنو
سليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما اقبلوا سلكوا بطن الوادي، ثم طلعت خيل أخرى
تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوما عارضى رماحهم أغفالا على خيلهم،
فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما آنتهوا إلى أصل الثنية سلكوا
طريق بنى سليم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا ترون؟
قالوا: نرى فارسا طويل الباد
واضعا رمحه على عاتقه، عاصبا رأسه بملاءة حمراء، فقال: هذا الزبير بن العوام، وأحلف
باللات ليخالطنكم، فآثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية، أبصر القوم فصمد لهم، فلم
يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها.
قالوا: ولما آنهزم القوم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من قدر عليه، فحنق
المسلمون عليهم، فقتلوا الذرية والنساء، فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بآمرأة
قد قتلها خالد بن الوليد، فقال: ما هذه؟ قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبعض من معه: "أدرك خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله ينهاك
أن تقتل وليدا أو آمرأة؛" وأنزل الله تعالى في يوم حنين قوله تعالى: "لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما

رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم
تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين".
قال الثعلبي: قال سعيد بن جبير: أمد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين.
وقال الحسن ومجاهد: كانوا ثمانية آلاف.
وقال الحسن: كانوا ستة عشر ألفا؛ قال سعيد بن جبير: حدثني رجل كان في المشركين يوم
حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقفوا لنا حلبة
شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم، حتى إذا آنتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء - يعني
رسول الله صلى الله عليه وسلم - فتلقانا رجال بيض الثياب حسان الوجوه، فقالوا لنا:
شاهت الوجوه، ارجعوا، فرجعنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها. يعني الملائكة.
قال: وفي الخبر أن رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل
البلق، والرجال عليهم ثياب بيض؟ ما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة، وما كان قتلنا إلا
بأيديهم، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: تلك الملائكة.
وقال محمد بن سعد: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم.
قال آبن إسحاق: وآستشهد من المسلمين يوم حنين من بنى هاشم أيمن بن عبيد، ومن بني
أسد يزيد بن زمعة بن الأسود، ومن ألنصار سراقة بن الحارث ابن عدي، ومن الأشعر يين
أبو عامر.
وقال آبن سعد: ورقيم بن بن زيد بن لوذان، واستحر القتل في بني نصر آبن معاوية، ثم في
بني رئاب، فقال عبد الله بن قيس، وكان مسلما. هلكت بنو رئاب، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "اللهم آجبر مصيبتهم." قال: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسبايا والأموال فجمعت، وحدرت إلى الجعرانة، وعليها مسعود بن عمرو الغفارى، فوقف
بها بالجعرانة حتى آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الطائف وهو
حظائرهم يستظلون بها من الشمس، ثم قسمها صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، على ما

نذكره إن شاء الله تعالى.
سرية الطفيل
بن عمرو الدوسى إلى ذي الكفين
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان عند منصرفه من غزوة حنين،
وتوجهه إلى الطائف ليهدم ذا الكفين صنم عمرو بن حممة الدوسي، وأمره أن يستمد قومه
ويأتيه بالطائف، فخرج سريعا إلى قومه، فهدم ذا الكفين وجعل يحش النار في وجهه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حششت النار في فؤادكا

وآنحدر معه من قومه أربعمائة سراعا، فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف
بعد مقدمه بأربعة أيام، وقدم الطفيل معه بدبابة ومنجنيق.
غزوة الطائف
غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال سنة ثمان من مهاجره، وذلك أنه لما
آنهزمت هوازن وثقيف يوم حنين، وجمعت السبايا والغنائم، سار رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حنين يريد الطائف، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وقد كانت ثقيف رموا
حصنهم، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، فلما آنهزموا من أوطاس، دخلوا حصنهم
وأغلقوا عليهم وتهيئوا للقتال، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلك على نحلة
اليمانية، ثم على قرن، ثم على المليح، ثم على بحرة الرغاء من لية، فآبتنى بها مسجدا
يصلي فيه.
قال آبن إسحاق: وأقاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ببحرة الرغاء حين نزلها
بدم، وهو أول دم أقيد به في الإسلام رجل من بني أسد قتل رجلا من هذيل فقتل به؛ قال:
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بلية بحصن مالك آبن عوف، فهدم، ثم سلك في
طريق يقال لها: الضيقة، فسأل عن آسمها. فقال: ما آسم هذه الطريق؟ فقالوا: الضيقة،
فقال: بل هي اليسرى، ثم خرج منها على نخب حتى نزل تحت سدرة يقال لها: الصادرة،
قريبا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "إما أن
تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك؛" فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بإخرابه؛ ثم مضى حتى نزل قريبا من حصن الطائف وعسكر هناك، فرموا المسلمين بالنبل
رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم آثنا عشر رجلا.
قال آبن إسحاق: وهم سعيد بن سعيد بن العاص، وعرفطة بن جناب، حليف لهم من
أسد بن الغوث.
وعبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما، رمى فاندمل جرحه، ثم انتقض بعد
ذلك فمات منه في خلافة أبيه.
ومن بني مخزوم عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة.
ومن بني كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.
ومن بني سعد بن ليث جليحة بن عبد الله.
ومن الأنصار ثابت بن الجذع، والحارث بن سهل بن أبى صعصعة، والمنذر بن عبد الله،
ورقيم بن ثابت بن ثعلبة الأوسي.
قال: فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه
صلى الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قبتين.
وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يوما، ويقال: خمسة عشر يوما،
ونصب عليهم المنجنيق، ورمى عليهم به، وأهل الطائف أول من رمى بالمنجنيق في
الإسلام.
قال آبن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشدخة دخل نفر من المسلمين تحت دبابة، ثم زحفوا
بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا
من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتل منهم رجال، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقطع أعناقهم وتحريقها، فقطع المسلمون قطعا ذريعا، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أدعها لله وللرحم،" ونادى منادى رسول الله صلى
الله عليه وسلم: "أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر؛" فخرج منهم بضعة عشر
رجلا، منهم: أبو بكرة، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودفع كل رجل منهم إلى
رجل من المسلمين يمونه، فشق ذلك على أهل الطائف، ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه

وسلم في فتح الطائف، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي، فقال: ما ترى؟ فقال: ثعلب في
حجر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضررك.
قال محمد بن إسحاق: وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر رضى
الله عنه: يا أبا بكر؛ إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبدا، فنقرها ديك فهراق ما
فيها؛ فقال أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد؛ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "وأنا لا أرى ذلك."
قال: ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية السلمية، وهي آمرأة عثمان بن مظعون قالت: يا
رسول الله، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان ابن سلمة، أو حلي
الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء قريش. قال: فذكر لي أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لها: "وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟" فخرجت خويلة فذكرت
ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:
يا رسول الله، ما حديث حدثتنيه خويلة فزعمت أنك قد قلته؟؛ قال: قد قلته. قال: أو ما
أذن فيهم يا رسول الله؟ قال: لا، قال: أفلا أؤذن بالرحيل؟ قال: بلى قال: فأذن عمر في
الناس بالرحيل؛ فضج الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم تفتح علينا الطائف؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: فآغدوا على القتال؛ فغدوا، فآصابت المسلمين جراحات، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنا قافلون إن شاء الله؛" فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا
يرتحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، وقال لهم: قولوا لا إله إلا الله وحده،
صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده؛ فلما آرتحلوا وآستقلوا قال: قولوا آيبون
تائبون عابدون، لربنا حامدون؛ وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ادع
على ثقيف؛ فقال: اللهم آهد ثقيفا وأت بهم.

الجعرانة

وقسم مغانم حنين، وما أعطاه المؤلفة

قال آبن إسحاق: ولما آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف رجع إلى

الجعرانة فآنتهى إليها ليلة الخميس لثلاث خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاثة عشر يوما،
وقسم الفئ.
قال محمد بن سعد: كان السبي ستة آلاف، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر
من أربعين ألف شاة، والورق أربعة آلاف أوقية فضة، فآستأنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالسبي أن يقدم عليه وفدهم، وبدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول
الناس.
قالوا: فأعطي أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل. قال: وآبني يزيد؟ قال:
أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل؛ قال: وابني معاوية؟ فأعطاه أربعين أوقية ومائة من
الإبل، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى
النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة مائة من الإبل، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مائة
من الإبل، وأعطى العلاء ابن جارية الثقفي خمسين بعيرا، وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين
بعيرا، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل،
وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطى
عثمان بن وهب خمسين من الإبل، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل، وأعطى حويطب
بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الإبل، وأعطى
الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، واعطى عيينة ابن حصن مائة من الإبل، وأعطى
مالك بن عوف مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل، وقيل: أربعة،
فقال في ذلك:

كانت نهابا تلافيتها بكرى على المهر في الأجرع
وإيقاظي القوم أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبى ونهب العبي د بين عيينة والأقرع
وقد كنت في الحرب ذاتدرإ فلم أعط شيئا ولم أمنع
إلا أفائل أعطيتها عديد قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون آمرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقطعوا عني لسانه،" فأعطوه حتى رضى،قيل:

أعطاه مائة من الإبل.
قال آبن سعد: أعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك كله من الخمس، وهو أثبت
الأقاويل عندنا، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت بإحصاء الناس
والغنائم، ثم فضها على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل، وأربعون شاة،
فإن كان فارسا أخذ آثني عشر من الإبل، أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من
فرس لم يسهم للفرس الزائد.
قدوم وفد هوازن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإسلامهم ورد السبايا إليهم
قال: وقدم وفد هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا،
ورأسهم زهير بن صرد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الرضاعة، فسألوه أن يمن عليهم بالسبى.
قال آبن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو: إن وفد هوازن وفدوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا
من البلاء ما لم يخف عليك، فآمنن علينا.
قال: وقام رجل من هوازن، أحد بني سعد بن بكر يقال له: زهير، يكنى بأبى صرد، فقال:
يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن معك يكفلنك، ولو أنا
ملحنا للحارث بن أبى شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا
عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.
وحكى أبو عمر بن عبد البر أن صرد زهير بن صرد أنشد عند ذلك:
امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضة قد عاقها قدر ممزق شملها، في دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتجب في العالمين إذا ما حصل البشر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها يا أرجح الناس حلما حين يختبر
فآمنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك يملؤه من محضها درر
إذ كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته وآستبق منا فإنا معشر زهر
يا خبر من مرحت كمت الجياد به عند الهياج إذا ما آستوقد الشرر

إنا لنشكر آلاء وإن كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه هذى البرية إذ تعفو وتنتصر
فآغفر عفا الله عما أنت واهبه يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر
قال آبن إسحاق: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم
أم أموالكم؟" فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، فرد إلينا أبناؤنا ونساؤنا
فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: "أما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر
فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا
ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم،" ففعلوا ما أمرهم به، فقال: "أما ما كان لي
ولبني عبد المطلب فهو لكم،" وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه
وسلم؛ وقالت الأنصار مثل ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة
بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مردس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو
سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛
قال: يقول عباس لبني سليم:
وهنتموني؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد
كنت آستأنيت بسبهم، وخيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا، فمن كان عنده منهم
شئ فطابت نفسه أن يرده فسبيل ذلك، ومن أبى فليرد عليهم، وليكن ذلك قرضا علينا،
فله بكل إنسان ست فرائض من أول ما يفئ الله علينا" قالوا: رضينا وسلمنا، فردوا عليهم
نساءهم وأبناءهم، ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن، فإنه أبى أن يرد عجوزا
صارت في يده منهم، ثم ردها بعد ذلك.
وقد حكى محمد بن إسحاق سبب تمسك عيينة بها وردها، قال: فقال حين أخذها:
أرى عجوزا إني لأحسب لها في الحي نسبا، وعسى أن يعظم فداؤها؛ فلما رد الناس
السبايا بست فرائض أبى أن يردها، فقال له زهير بن صرد: خذها عنك، فو الله ما فوها
ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد؛ فردها بست

فرائض حين قال له زهير ما قال. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبى
قبطية قبطية، والقباطي: ثياب بيض تتخذ من الكتان بمصر.
وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عيينة بن حصن في هذه القصة قال:
لما قدم هوازن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد عليهم السبى، كان عيينة قد
أخذ رأسا منهم، فنظر إلى عجوز كبيرة فقال: هذه أم الحي، لعلهم أن يغلوا بفدائها، وعسى
أن يكون لها في الحي نسب. فجاء آبنها إلى عيينة فقال: هل لك في مائة من الإبل؟ قال:
لا، فرجع عنه، فتركه ساعة، وجعلت العجوز تقول لآبنها: ما إربك في بعد مائة ناقة، اتركه
فما أسرع ما يتركني بغير فداء؛ فلما سمعها عيينة قال: ما رأيت كاليوم خدعة، والله ما أنا
من هذه إلا في غرور؛ ولا جرم والله لأبعدن أثرك مني؛ قال: ثم مر به آبنها فقال له عيينة:
هل لك فيما دعوتني إليه؛ فقال: لا أزيدك على خمسين؛ فقال عيينة: لاأفعل؛ ثم لبث
ساعة، فمر به وهو معرض عنه، فقال له عيينة: هل لك في الذي بذلت لي؟ ، قال له
الفتى: لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة؛ قال عيينة: والله لا أفعل، فلما تخوف عيينة
أن يتفرق الناس ويرتحلوا قال: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟ : قال الفتى: هل لك
إلى عشر فرائض؟ قال: لا أفعل؛ فلما رحل الناس ناداه عيينة: هل لك إلى ما دعوتني إليه
شئت؟ ؛ قال الفتى: أرسلها وأحمدك، قال: لا والله مالي حاجة بحمدك؛ فأقبل عيينة على
نفسه لائما لها ويقول: ما رأيت كاليوم أمرا أنكد، قال الفتى: أنت صنعت هذا بنفسك،
عمدت إلى عجوز كبيرة، والله ما ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا
صاحبها بواجد، فأخذتها من بين من ترى؛ فقال له عيينة: خذها لا بارك الله لك فيها؛
قال: فيقول الفتى: يا عيينة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبى فأخطأها
من بينهم الكسوة، فهل أنت كاسيها ثوبا؟ قال: لا، والله مالها ذاك عندي، قال: لا تفعل؛
فما فارقه حتى أخذ منه سمل ثوب. ثم ولى الفتى وهو يقول: إنك لغير بصير بالفرض، قال:

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كسا السبى قبطية قبطية، والقباطي: ثياب
بيض تتخذ من الكتان بمصر.
قال محمد بن إسحاق: وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد هوازن عن مالك بن
عوف ما فعل؟ هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال: أخبروا مالكا إن هو أتاني مسلما رددت إليه
أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل. فأخبر بذلك، فخرج من الطائف فأدرك رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالجعرانة أو بمكة، فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل،
وأسلم فحسن إسلامه. وقال حين أسلم منشدا:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد

فآستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه، وتلك القبائل: ثمالة،
وسلمة، وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفا؛ لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم،
فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو الثقفي في ذلك:

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمة
وأتانا مالك بهم ناقضا للعهد والحرمة
وأتونا في منازلنا ولقد كنا أولى نقمة

من بايع الرسول من قريش
وغيرها عند قسم مغانم حنين
قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين: أبو سفيان ابن حرب، ومعاوية بن
أبى سفيان، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد ابن أبى العيص، وشيبة بن
عثمان بن أبى طلحة، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم،
وزهير بن أبى أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة،
وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبى
السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم؛

العدويان، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحى، وأحيحة بن أمية بن خلف، وعمير بن
وهب بن خلف، وعدي بن قيس ابن حذافة السهمى، وحويطب بن عبد العزى، وهشام
بن عمرو بن ربيعة، ونوفل ابن معاوية بن عروة بن صخر الديلي، وعلقمة بن علاثة بن
عوف، ولبيد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرملة بن
هوذة آبن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعباس بن مرداس السلمى، وعيينة
بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، بن حابس بن عقال المجاشعي

مقالة الأنصار
في أمر قسم الفئ، وما أجابهم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضاهم به

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قال: لما أعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم
يكن في الأنصار منها شئ، وجدوا في أنفسهم حتى كثرت بهم القالة، حتى قال قائلهم: لقى
والله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من
الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا آلفئ الذي أصبت؛ قسمت في
قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها
شئ. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي؛ قال: فآجمع
لي قومك في هذه الحظيرة، فخرج سعد فجمعهم فيها، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني
عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغانكم الله،
وأعداء فألف الله بين قلوبكم!" قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال: ألا تجيبونني يا
معشر الأنصار، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ ، لله ولرسوله المن والفضل، قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك،

ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم
من لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر
الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
رحالكم! فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت آمرأ من الأنصار، ولو سلكت الناس
شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم آرحم الأنصار وأبناء الأنصار
وأبناء الأنصار؛ قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلى
الله عليه وسلم قسما وحظا؛ ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا، ثم
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرا، وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة
ليلة مضت من ذي القعدة، فأحرم بعمرة، ودخل مكة، فطاف وسعى وحلق رأسه، ورجع
إلى الجعرانة من ليلته.

آستخلاف عتاب بن أسيد
على مكة ورجوعه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته آستخلف
عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن.
قال آبن هشام: لما آستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة
رزقه كل يوم درهما، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس، أجاع الله كبد من جاع على
درهم، رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم، فليست بي حاجة إلى
أحد.
قال: وحج عتاب بالناس في سنة ثمان على ما كانت العرب تحج عليه.
قال آبن سعد: ولما آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سلك في وادي
الجعرانة، حتى خرج على سرف، ثم أخذ الطريق إلى مر الظهران، ثم إلى المدينة، فقدمها
صلى الله عليه وسلم في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة.
وقال آبن هشام: لست بقين من ذي القعدة. والله أعلم.

سرية عيينة بن حصن
الفزارى إلى بني تميم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة تسع من مهاجره إلى بني تميم في
خمسين فارسا من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، وكان يسير الليل ويكمن النهار،
فهجم عليهم في صحراء - وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم، وقد حلوا وسرحوا ما
شيتهم، فلما رأوا الجمع ولوا - وأخذ منهم أحد عشر رجلا؛ ووجدوا في المحلة إحدى
عشرة آمرأة وثلاثين صبيا، فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبسوا في دار بنت الحارث، فقدم فيهم عدة من رؤسائهم: عطارد بن حاجب، والزبر بن
بدر، وقيس بن عاصم، ورباح بن الحارث بن مجاشع، والأقرع بن حابس، وقيس بن
الحارث، ونعيم ابن سعد، وعمرو بن الأهتم، وربيعة بن رفيع، وسبرة بن عمرو، والقعقاع
بن معبد، ووردان بن محرز، ومالك بن عمرو، وفراس بن حابس، وكان من شأنهم وكلام
خطيبهم وشاعرهم ما نذكر ذلك في أخبارهم في وفادات العرب إن شاء الله تعالى، وذلك
في السفر السادس عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة.
قال: ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسرى والسبى.
قال آبن إسحاق: وكان ممن قتل يومئذ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له بنو وهب،
وشداد بن فراس، وحنظلة بن دارم. وكان ممن سبى يومئذ أسماء بنت مالك، وكأس بنت
أرى، ونجوة بنت نهد، وجميعة بنت قيس، وعمرة بنت مطر.
خبر الوليد بن عقبة
بن أبى معيط مع بني المصطلق
قال محمد بن سعد: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة ابن أبى معيط
إلى بالمصطلق من خزاعة يصدقهم، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد، فلما سمعوا بدنو
الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزور والغنم فرحا به، فلما رآهم ولى راجعا إلى
المدينة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين
الصدقة، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم من يغزوهم، وبلغ ذلك القوم،
فقدم الركب الذين لقوا الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر على وجهه،

فنزل في ذلك قوله تعالى: "يأيها الذين آمنوا إن جاءكم ناسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا أن قوما
بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين،" فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن، وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويقرئهم
القرآن، ففعل، وأقام عندهم عشرا، ثم آنصرف إلى المدينة.

سرية قطبة بن عامر

بن حديدة إلى خثعم

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة تسع من مهاجره إلى حي من خثعم
بناحية تبالة في عشرين رجلا، وأمره أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة
يعتقبونها، فاخذوا رجلا، فسألوه فآستعجم عليهم، وجعل يصيح باالحاضر ويحذرهم،
فضربوا عنقه، ثم امهلوا حتى نام الحاضر، فشنوا عليهم الغارة، فآقتتلوا قتالا شديدا،
وساق المسلمون النعم والشاء والنساء إلى المدينة، وجاء سيل فحال بينهم وبين قطبة، فما
يجدون إليه سبيلا، وكانت سهامهم بعد الخمس لكل رجل أربعة أبعرة، والبعير يعدل بعشرة
من الغنم.

سرية الضحاك

بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة.
قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا إلى القرطاء عليهم الضحاك ابن
سفيان بن عوف الكلابي، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرط، فلقوهم بالزج، زج لاوة،
فدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموا، فلحق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس
له في غدير الزج، فدعا أباه إلى الإسلام، وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فضرب الأصيد
عرقوبى فرس أبيه، فلما وقع الفرس على عرقوبيه آرتكز سلمة رمحه في الماء، ثم آستمسك
به، حتى جاءه أحدهم فقتله، ولم يقتله آبنه، وفي هذه السرية وفي الضحاك بن سفيان يقول
عباس بن مرداس:

إن الذين وفوا بما عاهدتهم جيش بعثت عليهم الضحاكا
أمرته ذرب اللسان كأنه لما تكنفه العدو يراكا
طورا يعانق باليدين وتارة يفرى الجماجم صارما بتاكا

سرية علقمة

بن مجزز المدلجي إلى الحبشة
كانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وذلك أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلغه أن ناسا من الحبشة تراآهم أهل جدة، فبعث إليهم علقمة بن مجزز في
ثلاثمائة، فآنتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم، فهربوا منه، فلما رجع تعجل بعض
القوم إلى أهليهم، فأذن لهم، وفيهم عبد الله بن حذاقة السهمى، فأمره علقمة على من
تعجل، وكانت فيه دعابة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها، فقال لهم:
عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار، فقام بعض القوم حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال:
اجلسوا، إنما كنت أضحك معكم؛ فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:
"من أمركم بمعصية فلا تطيعوه."
سريةإلى الفلس
صنم طيئ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبى طالب رضى الله عنه في
شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفلس صنم طيئ ليهدمه
- والفلس بضم الفاء وسكون اللام - بعثهم على مائة بعير وخمسين فرسا، ومعه راية
سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه
وملأوا أيديهم من السبى والنعم والشاء، وفي السبى أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي
إلى الشام؛ وكان خيره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الوفود.
قال: ووجدوا في خزانة
الفلس ثلاثة أسياف: رسوب، والمخذم، واليمان؛ وثلاثة أدرع، فلما نزلوا ركك آقتسموا
الغنائم، وعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفية: رسوب، والمخذم، ثم صار له بعد
السيف الآخر، وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قدم بهم المدينة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم.
سرية عكاشة
بن محصن الأسدي إلى الجناب
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجره
إلى الجناب، أرض عذرة وبلي، ولم يذكر آبن سعد من خبره غير ذلك.

تبوك
كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة
بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم، وجذام، وعاملة، وغسان،
وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الخووج،
وأعلمهم المكان الذي يريد ليتأهبوا لذلك، وبعث إلى مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم،
وذلك في جر شديد، وأمرهم بالصدقة، فحملوا صدقات كثيرة، وقووا في سبيل الله.
قال ابن هشام: أنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف
دينار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم آرض عن عثمان فإني عنه راض."
وجاء البكاءون وهم سبعة: سالم بن عمير، وهرمى بن عبد الله أخو بني واقف، وعلبة
بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني، وعمرو بن عنمة، وسلمة
بن صخر، والعرباض بن سارية الفزاري.
قال: وفي بعض الرواة من يقول: إن فيهم عبد الله بن مغفل المزني، ومعقل ابن يسار،
وبعضهم يقول: البكاءون بنو مقرن السبعة، وهم من مزينة، فأتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يستحملونه، فقال: "لا أجد ما أحملكم عليه؛" فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا
ألا يجدوا ما ينفقون، فعذرهم الله تعالى.
قال: وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم
اليهودي، يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت
سويلم، ففعل طلحة، فآقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت، فآنكسرت رجله، وآقتحم
أصحابه فأفلتوا، فقال الضحاك في ذلك:
كادت وبيت الله نار محمد يشيط بها الضحاك وآبن أبيرق
فظلت وقد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلى كسيرا ومرفقى
سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف، ومن تشمل به النار يحرق

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف من غير
علة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلا.
وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم، فآعتذروا إليه، فلم يعذرهم، وهم آثنان وثمانون
رجلا؛ ذكر أنهم نفر من بني غفار، وكان عبد الله بن أبى بن سلول قد عسكر على ثنية
الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكره بأقل العسكرين، وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضى الله عنه،
فصلى بالناس، وآستخلف على المدينة محمد بن مسلمة، فلما سار رسول الله صلى الله
عليه وسلم تخلف عبد الله بن أبى، ومن كان معه، وتخلف نفر من المسلمين من غير شك
ولا آرتياب، منهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وأبو خيثمة مالك بن
قيس السالمي، وأبو ذر الغفاري؛ وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بطن من
الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء أو راية، ومضى صلى الله عليه وسلم لوجهه
يسير بأصحابه حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفا من الناس، والخيل عشرة آلاف فرس، فأقام بها
عشرين ليلة يصلي ركعتبن ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة وأبو ذر.
قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبى خيثمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:
إنه جاء يوما إلى أهله بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما في يوم حار،
فوجد آمرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشت كل واحدة منها عريشها وبردت له
فيه ماء، وهيأت طعاما، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى آمرأتيه وما صنعتا له،
فقال: رسول الله في الضح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيأ، وآمرأة
حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنصف! ؛ ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما
حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فهيئا لي زادا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه
فآرتحله، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك.

قال: ولما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس: هذا راكب على الطريق
مقبل؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كن أبا خيثمة،" قالوا: يا رسول الله، هو
والله أبو خثيمة؛ فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "أولى
لك يا أبا خثيمة!" ، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال: خيرا ودعا
له.
وأما أبو ذر الغفاري، فإنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق، وكان
بعيره قد أبطأ عليه، فحمل متاعه على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أدركه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله أبا ذر، يمشي
وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده" فكان كذلك.
قال: وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وهرقل يومئذ بحمص، فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أكيدر.
سرية إلى أكيدر
بن عبد الملك
قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك خالد بن الوليد في أربعمائة
وعشرين فارسا سرية إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وأكيدر من كندة، قد
ملكهم، وكان نصرانيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: :إنك ستجده
يصيد البقر." فخرج خالد في شهر رجب سنة تسع من الهجرة حتى كان من حصن
أكيدر بمنظر العين في ليلة مقمرة وصائفة، وهو على سطح له، ومعه آمرأته، فباتت البقر
تحك بقرونها باب القصر، فقالت له آمرأته: ما رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله؛ قالت:
فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب وركب معه نفر من أهل
بيته، فيهم أخ له يقال له: حسان، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فشدت عليه، فآستأسر أكيدر، وآمتنع أخوه حسان، وقاتل
حتى قتل، وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فآستلبه خالد، وبعث به إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون
منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتعجبون من هذا؟ فو الذي نفسى بيده
لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا. قال: ولما أسر أكيدر وقتل حسان، هرب
من كان معهما، فدخل الحصن، وأجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى
الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفى بعير، وثمانمائة
فرس، وأربعمائة درع وأربعمائة رمح، فعزل للنبي صلى الله عليه وسلم صيفا خالصا، ثم
أخرج الخمس، وقسم ما بقى بين أصحابه، ثم خرج خالد بأكيدر وبأخيه مصاد - وكان
في الحصن - وبما صالحه عليه قافلا إلى المدينة، فقدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأكيدر، فأهدى له هدية، وصالحه على الجزية، وحقن دمه، ثم خلى سبيله، فرجع
إلى قريته، فقال بجير بن بجرة:

تبارك سائق البقرات إني رأيت الله يهدي كل هاد
فمن يك حائدا عن ذي تبوك فإنا قد أمرنا بالجهاد

قال محمد بن إسحاق: ولما آنتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يحنة ابن
رؤبة صاحب أيلة، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية، وأتاه أهل
جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، وكتب رسول صلى الله عليه وسلم ليحنة كتابا، وهو: "بسم
الله الرحمن الرحيم، هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة؛
سفنهم وسيارتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام،
وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب
لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر."
قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آستعمل على حرسه بتبوك عباد ابن
بشر، ثم آنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا.
وقدم المدينة في شهر رمضان من السنة، وجاءه من كان قد تخلف عنه، فخلفوا له،
فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب بن مالك وصاحبيه حتى نزلت توبتهم، على نذكر

ذلك إن شاء الله في آخر هذه الغزوة.
قال: وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد آنقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فنهاهم، وقال: "لا تزال عصابة من أمتى يجاهدون على الحق حتى
يخرج الدجال."
وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدمناه، قد رأينا إيرادها في هذا الموضع.
منها خبر مرور رسول الله بالحجر.
ومنها ما أنزل في أمر المنافقين.
ومنها خبر الثلاثة الذين خلفوا، وما أنزل من توبتهم.
مرور الرسول بالحجر
وما قاله لأصحابه
قال محمد بن إسحاق: لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره إلى تبوك بالحجر
من مدين، نزلها، وآستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم. "لا تشربوا من مائها شيئا، ولا يتوضأ منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه
فاعلفوه للإبل ولا تأكلوا منه شيئا، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له،"
ففعل الناس ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج
أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على
مذهبه؛ وأما الذي ذهب في طلب بعيره فآحتملته الريح حتى طرحته بجبل طيء، وأخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: "ألم أنهكم ألا يخرج منكم أحد إلا ومعه
صاحبه!" ثم دعا للذي أصيب فشفى، وأما الآخر فإن طيئا أهدته لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قدم المدينة.
قال ابن هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر
سجى ثوبه على وجهه، وآستحث راحلته، ثم قال: "لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم
باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم."
قال آبن إسحاق: لما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فدعا، فأرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى آرتوى الناس وآحتملوا حاجتهم من
الماء.

وفي هذه الغزوة ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال زيد بن لصيب ما قال،
وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، فأخبر بشأنها، ووجدت كما وصف
صلى الله عليه وسلم على ما قدمنا ذلك في أخبار المنافقين.
أخبار المنافقين
وما تكلموا به في غزوة تبوك
وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن
كان ممن أنزل الله عز وجل فيه من القرآن ما أنزل في غزوة تبوك الجد ابن قيس، وهو الذي
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: آئذن لي ولا تفتنى؛ وقد تقدم خبره مع أخبار
المنافقين.
وقال قوم منهم: لا تنفروا في الحر زهادة في الجهاد؛ فأنزل الله عز وجل فيهم: وقالوا لا
تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون.
فليضحكوا قليلا وليبكلوا كثيرا
جزاء بما كانوا يكسبون، وقال رهط من المنافقين: منهم وديعة آبن ثابت أخو بني عمرو بن
عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة يقال له: مخش بن حمير - وقيل: مخش -
وغيرهما بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم ببعضا، والله
لكأنكم غدا بهم مقرنين في الحبال، يقولون ذلك إرجافا وترهيبا للمؤمنين.
فقال مخشى: والله لوددت أن أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت
أو ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر:
أدرك القوم فإنهم قد آحترقوا، فآسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل لهم: بلى قد قلتم كذا
وكذا، فآنطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون
إليه، فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب.
وقال مخشى: يا رسول الله، قعد بي آسمي وأسم أبى، فأنزل الله تعالى قوله: "ولئن سألتهم
ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون. لا تعتذروا قد كفرتم
بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين." فكان مخشى بن
حمير ممن عفى عنه، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم

اليمامة، ولم يوجد له أثر. والله الموفق للصواب.
الثلاثة الذين خلفوا
وما أنزل فيهم
وفي المعذرين من الأعراب
والثلاثة الذين خلفوا لم يتخلفوا عن شك ولا نفاق، وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع،
وهلال بن أمية، وكان من خبرهم ما حدثنا به الشيخان المعمران المسندان شهاب الدين
أبو العباس أحمد بن أبى طالب نعمة الصالحي الحجار، وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت
القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجى التنوخية الدمشقيان قراءة عليهما، وأنا
أسمع في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبعمائة بالمدرسة المنصورية بالقاهرة المعزية،
قالا: حدثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى
الزبيدي، قال: حدثنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قراءة عليه
ونحن نسمع، قال: حدثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، قال:
أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد
بن يوسف ابن مطر الفربري، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم
البخاري، قال: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن آبن شهاب، عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالك، - وكان قائد
كعب من بنيه حين عمى - قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك
قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة
تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير
ميعاد؛ ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على
الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.
كان من خبرى أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما

آجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتها في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حر شديد، وآستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا، فجلا
للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان.
قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك، مالم ينزل فيه وحي الله
عز وجل، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال،
وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم،
فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى شمر بالناس
الجد. فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي
شيئا، فقلت: اتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز،
ورجعت فلم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت، ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى
أسرعوا وتفرط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت
إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفت فيهم أحزنني
أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه بالنفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم
يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك:
ما فعل كعب؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفيه.
فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمت عليه إلا خيرا، فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همى، وطفقت أتذكر الكذب
وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا، وآستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما

قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما راح عني الباطل، وعرفت أني لم
أخرج منه أبدا بشئ فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قادما، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم يجلس للناس، فلما فعل
ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل
منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم وآستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى
الله، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشى حتى
جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد آبتعت ظهرك؟ فقلت: بلى والله، إني لو
جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت
جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله
أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبي الله، لا
والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك؛ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك،" فقمت
وثار رجال من بني سلمة فآتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا،
ولقد عجزت ألا تكون آعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما آعتذر إليه
المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك آستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فو الله ما زالوا
يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقى هذا معي أحد؟ قالوا:
نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك؛ فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن
الربيع العمرى، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما
أسوة؛ حين ذكروهما لي.
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من
تخلف عنه، فآجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي بالتي
أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فآستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم،
فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، فلا يكلمني أحد، وآتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي:
هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت
على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة
الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة، وهو آبن عمي، وأحب الناس إلي،
فسلمت عليه، فو الله ما رد علي السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمني
أحب الله ورسوله؟ فسلكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله
ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار.
قال: فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه
بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ ، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني
دفع إلى كتابا من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم
يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فآلحق بنا نواسك. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من
البلاء، فتيممت بها التنور، فسجرته بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمرك أن تعتزل آمرأتك.
فقلت: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل آعتزلها ولا تقربنها، وأرسل إلى صاحبي مثل
ذلك، فقلت لآمرأتي: الحقى بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.
قال كعب: فجاءت آمرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول
الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ فقال: لا، ولكن لا
يقربنك قالت: إنه والله ما به حركة إلى شئ، والله ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان
إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو آستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في

آمرأتك، كما أذن لآمرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله،
وما يدرني ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أستأذنته فيها وأنا رجل شاب!
فلبثت بعد ذلك عسر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت
من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي
الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن
مالك، أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل
صاحبي مبشرون، وركض رجل إلى فرسا، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان
الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت ثوبي فكسوته
إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، وآستعرت ثوبين فلبستهما، وآنطلقت إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فتلقانى الناس فوجا يهنئونني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله
عليك.
قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله
الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلى رجل
من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.
قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك؛" قال:
قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: "لا ، بل من عند الله،" وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا سر آستنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، كنا نعرف ذلك منه،
فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله
وإلى رسول الله؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمسك عليك بعض مالك فهو خير

لك،" قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني
بالصدق، وإن من توبتي ألا صدقا ما بقيت، فو الله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في
صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني، ما
تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو
أن يحفظني الله فيما بقى، فأنزل الله تعالى على رسول الله عليه وسلم: "لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والأنصار الذين آتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت
عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب
عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم. يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين."
قال كعب: فو الله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي
من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا،
فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى:
"سيحلفون بالله لكم إذا آنقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم
جهنم جزاء بما كانوا يكسبون. يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا
يرضى عن القوم الفاسقين."
قال كعب: وكنا تخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين حلفوا فبايعهم وآستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال: "وعلى الثلاثة الذين خلفوا."
وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن
حلف له وآعتذر إليه فقبل منه.
انتهت غزوة تبوك، فلنذكر ما سواها من السرايا.
سرية إلى اليمن
يقال: بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبى طالب رضى الله عنه مرتين:

إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجره صلى الله عليه وسلم، وعقد له لواء،
وعممه بيده، وقال: "امض لا تلتفت، فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك،" فخرج
في ثلثمائة فارس، وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد، وهي بلاد مذحج، ففرق
أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، وجعل على الغنائم
بريدة بن الحصيب الأسلمي، فجمع إليه ما أصابوا، ثم لقى جمعهم فدعاهم إلى الإسلام،
فأبوا ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم على رضى الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا،
فتفرقوا وانهزموا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر
من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا فخذ منها حق الله،
وجمع على الغنائم فخمسها، وقسم على أصحابه بقية المغنم، ثم قفل، فرافى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة حين قدمها للحج سنة عشر. حكاه آبن سعد.
وقال محمد بن إسحاق، لما رجع علي بن أبى طالب رضى الله عنه من اليمن إلى مكة،
دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدها قد حلت فقال: مالك يا
بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة فحللنا، ثم
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم: "انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك" قال: يا رسول الله،
إني أهللت بما أهللت؛ قال: فآرجع فآحلل كما حل أصحابك قال: يا رسول الله، إني قلت
حين أحرمت: اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد، قال: فهل معك من
هذى؟ قال: لا؛ فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الهدى.
قال: ولما أقبل علي من اليمن تعجل إلى رسول الله، وآستخلف على جنده الذين معه

رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع
علي، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت
القوم ليتجملوا إذا قدموا في الناس؛ قال: أنزعها ويلك! قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم، قال: فآنتزع الحلل من الناس فردها في البز، فآشتكى الناس عليا،
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا، فقال: "أيها الناس، لا تشتكوا عليا، فو الله
إنه لأخشن في ذات الله" أو في سبيل الله.
إلى أرض الشراة
سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشراة ناحية البلقاء
وهذه السرية هي آخر سرية جهزها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات قبل إنفاذها،
وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وكان فيها أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد
بن زيد، وقتادة بن النعمان، وسلم بن أسلم بن حريش، فتكلم قوم وقالوا: نستعمل هذا
الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا،
فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه،
ثم قال: أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم
في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقا، وإن آبنه من بعده لخليق للإمارة
وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإنهما لمخيلان لكل خير، فآستوصوا به خيرا، فإنه من
خياركم، ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول، وخرج
الناس إلى الجرف، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروج هذه السرية، فلما
ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه، كان أول ما بدأ به بعث أسامة.
هذا ما أمكن إيراده من غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه.
فلنذكر حجه وعمره صلى الله عليه وسلم.
حج الرسول والوفود

قالوا: حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة حجتين، ولم يحج بعد
الهجرة إلا حجة الوداع، وهي في السنة العاشرة، وكانت فريضة الحج نزلت في السنة
السادسة من الهجرة، وفتحت مكة في سنة ثمان، فآستخلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عتاب بن أسيد، فحج بالناس تلك السنة، وفي السنة التاسعة حج أبو بكر الصديق
رضوان الله عليه بالناس كما قدمنا ذكر ذلك في مواضعه، فلما كان في السنة العاشرة أذن
في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن
يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعمل مثل عمله، وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المدينة مغتسلا مدهنا مترجلا متجردا في ثوبين صحاريين: إزار ورداء، وذلك يوم
السبت لخمس ليال بقين من ذي العقدة سنة عشر من مهاجره، وآستعمل على المدينة أبا
دجانة الساعدي - ويقال: سباع ابن عرفطة الغفاري - قالوا: وصلى الظهر بذي الحليفة
ركعتين، وأخرج معه نساءه كلهن في الهوادج، وأشعر هديه وقلده، ثم ركب ناقته، فلما
آستوى عليها بالبيداء أحرم من يومه، وكان على هديه ناجية بن جندب، وقيل: إنه أهل
بالحج مفردا، وقيل: قرنه بعمرة، ومضى صلى الله عليه وسلم يسير المنازل ويؤم أصحابه في
الصلاة في مساجد له قد بناها الناس، فكان يوم الاثنين بمر الظهران، فغربت له الشمس
بسرف، ثم أصبح فآغتسل ودخل مكة نهارا وهو على راحلته القصواء، وكان تحته صلى
الله عليه وسلم رحل رث عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم، وقال: "اللهم اجعله حجا
لا رياء فيه ولا سمعة،" فدخل من أعلى مكة من كداء حتى آنتهى إلى باب بني شيبة، فلما
رأى البيت رفع يديه فقال: "اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة، وزد من
شرفه وعظمه ممن حجه وآعتمره تشريفا وتكريما ومهابة وتعظيما وبرا؛" ثم بدأ فطاف
بالبيت، ورمل ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر، وهو مضطبع بردائه، ثم صلى خلف
المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من فوره ذلك، وكان قد اضطرب

بالأبطح، فرجع إلى منزله، فلما كان قبل يوم التروية بيوم خطب بمكة بعد الظهر، ثم خرج يوم
التروية إلى منى، فبات بها، ثم غدا إلى عرفات، فوقف بالهضاب منها، وقال: "كل عرفة
موقف إلا بطن عرنة،" فوقف على راحلته يدعو، فلما غربت الشمس دفع فجعل يسير
العنق حتى جاء المزدلفة، فنزل قريبا من الغار، فصلى المغرب والعشاء بأذان وإقامتين، ثم
بات بها، فلما برق الفجر صلى الصبح، ثم ركب راحلته، فوقف على قزح وقال: "كل
المزدلفة موقف إلا بطن محسر،" ثم دفع قبل طلوع الشمس، فلما بلغ إلى محسر أوضع، ولم
يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة، ثم نحر الهدى وحلق رأسه، وأخذ من شاربه وعارضيه،
وقلم أظفاره، وأمر بشعره وأظفاره أن تدفن، ثم أصاب الطيب، ولبس القميص، ونادى
مناديه بمنى: إنها أيام أكل وشرب وباءة، وجعل يرمي الجمار في كل يوم عند زوال الشمس،
ثم خطب الغد من يوم النحر بعد الظهر على ناقته القصواء، ثم صدر يوم الصدر الآخر،
وقال: "إنما هن ثلاث يقيمهن المهاجر بعد الصدر،" يعنى بمكة، ثم ودع البيت، ثم انصرف
راجعا إلى المدينة.

الخطبة التي خطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته التي بين فيها ما
بين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم
بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن
تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن
أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من آئتمنه عليها، وإن كل ربا
موضوع، وإن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العباس بن عبد
المطلب موضوع كله، وأن كل دم في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة
بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل - فهو أول ما أبدأ
به من دماء الجاهلية."

"أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع
فيما سوى ذلك فقد رضى به، مما تحقرون من أعمالكم، فآحذروه على دينكم."
"أيها الناس، إن النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما
ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد آستدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثناعشر شهرا منها
أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان."
"أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، عليهن أن لا يوطئن
فرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم
أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن آنتهين فلهن رزقهن وكسوتهن
بالمعروف، وآستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنكم
إنما أخذتموهن بأمانة الله، وآستحللتم فروجهن بكلمات الله، فآعقلوا أيها الناس قولي، فإني
قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن آعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا: كتاب الله وسنة
نبيه."
"أيها الناس، اسمعوا قولي وآعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة،
فلا يحل لآمري من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل
بلغت،" فقال الناس: اللهم نعم، فقال: "اللهم آشهد."
وقال آبن إسحاق أيضا: حدثني بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كان
الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ربيعة بن
أمية بن خلف. قال: يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل يأيها الناس إن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: هل تدرون أي شهر هذا؟ فيقوله لهم، فيقولون:
الشهر الحرام، فيقول لهم: "إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم
كحرمة شهركم هذا،" ثم يقول: "قل يأيها الناس، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

يقول هل تدرون أي بلد هذا؟" قال: فيصرخ به؛ قال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول:
"قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا،"
ثم يقول: "قل يأيها الناس، إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هل تدرون أي يوم
هذا؟" فيقولون: يوم الحج الأكبر؛ قال: فيقول: "قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم
وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا."
وعن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حاجة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لغامها ليقع على رأسي، فسمعته وهو يقول: "أيها
الناس؛ إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه، وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش،
وللعاهر الحجر، ومن آدعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا."
عمرته
فقد روى عكرمة عن آبن عباس رضى الله عنهما، قال: اعتمر النبي صلى الله عليه
وسلم أربع عمر: عمرة الحديبية، وهي عمرة الحصر، وعمرة القضاء من قابل، وعمرة
الجعرانة، والرابعة التي مع حجته.
وعن قتادة، قلت لأنس بن مالك: كم نعتمر النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعا، عد
منها عمرته مع حجته، وقد قدمنا ذكر عمرة الحديبية مع الغزوات، وذكرنا عمرة الجعرانة
عند ذكرنا لقسم مغانم حنين، وعمرته مع حجته قد آختلف فيها.
عمرة القضاء
فقد أوردها بعض أهل السير في الغزوات، وترجم عليها: عمرة القضية، وحجة من
أوردها في الغزوات أنه صلى الله عليه وسلم خرج معه السلاح، ولم يخرج به صلى الله
عليه وسلم لقصد الغزاة، وإنما خرج به آحتياطا. وكان من خبر هذه العمرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما آستهل هلال ذي القعدة سنة سبع من مهاجره أمر أصحابه أن
يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية، وألا يتخلف أحد ممن شهد

الحديبية، فلم يتخلف منها إلا من مات أو قتل بخيبر، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوم من المسلمين عمارا ممن لم يشهد الحديبية، فكانوا في عمرة القضية ألفين،
وآستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا ذر الغفاري، حكاه ابن سعد
- وقال ابن إسحاق: عويف بن الأضبط الديلي - وساق صلى الله عليه وسلم ستين
بدنة، وجعل على هديه ناجية بن جندب الأسلمي.
قال آبن سعد: وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح والبيض والدروع والرماح،
وقاد مائة فرس، فلما آنتهى إلى ذي الحليفة، قدم الخيل أمامه، عليها محمد بن مسلمة، وقدم
السلاح، وآستعمل عليه بشير بن سعد، وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد،
ولبى والمسلمون معه يلبون. ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران فوجد بها
نفرا من قريش، فسألوه، فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا
إن شاء الله، فأتوا قريشا بالخبر، ففزعوا، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر
الظهران، وقدم السلاح إلى بطن يأجج حيث ينظر إلى أنصاب الحرم، وخلف عليه أوس بن
خولي الأنصاري في مائتي رجل، وخرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال، فقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الهدى أمامه، فحبس بذي طوى، وخرج على راحلته القصواء
والمسلمون متوشحون السيوف، محدقون به صلى الله عليه وسلم يلبون، فدخل على الثنية
التي تطلعه على الحجون، وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام راحلته وهو يقول:

خلوا نبي الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقيله أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقبله ويذهل الخيل عن خليله

قال آبن هشام: قوله نحن قتلناكم على تأويله إلى آخر الأبيات، لعمار بن ياسر في غير هذا
اليوم.
قال آبن سعد: ولما آتجز آبن رواحة قال له عمر بن الخطاب: إيها يآبن رواحة! فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "يا عمر، إني أسمع؛" فأسكت عمر، وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "إيها يأبن رواحة! ، قل لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم
الأحزاب وحده،" فقالها ابن رواحة. لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى
استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه، وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه وقد
أضطبعوا بثيابهم، ثم طاف بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند
فراغه وقد وقف الهدى عند المروة قال: "هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر،" فنحر عند
المروة، وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا
منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضوا
نسكهم؛ ففعلوا، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا. وتزوج ميمونة بنت
الحارث الهلالية، فلما كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد
العزى فقالا: قد أنقضى أجلك، فآخرج عنا، فأمر أبا رافع فنادى بالرحيل وقال: لا يمسين
بها أحد من المسلمين، وأخرج عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة، وركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل سرف وتتام الناس إليه، وأقام أبو رافع بمكة حتى
أمسى، فحمل إليه ميمونة، فبنى عليها صلى الله عليه وسلم بسرف، ثم أدلج فسار حتى
قدم المدينة، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا.

السفر الثامن عشر
وفادات العرب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتّصل به

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من
الهجرة؛ ولذلك سمّيت سنة الوفود. وذلك أن العرب إنما كانوا ينتظرون فتح مكة وإسلام
هذا الحيّ من قريش؛ فلما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة -
شرفها الله تعالى - وأسلم من أسلم من قريش، وفدت عند ذلك وفادات العرب من كل
قبيلة وجهة، ودخلوا في دين الله أفواجا، كما قال الله تعالى: " إذا جاء نصر الله والفتح.
ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّاباً ".

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع في طبقاته
الكبرى، ونذكر ما أورده ابن سعد ممّن ذكرهم أبو محمد عبد الملك ابن هشام رحمه الله،
إلا أنّا نبدأ من ذلك بذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل
هجرته إلى المدينة، ثم نذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة
وقبل فتح مكة، نقدّمهم على حسب السابقة، ثم نذكر من عدا هؤلاء من الوفود الذين
وفدوا في سنة تسعٍ وما بعدها؛ نرتّبهم على ما رتّبهم محمد ابن سعد في طبقاته فيِ التقديم
والتأخير، ونستثنى منهم من تقدّم ذكره؛ فنقول وبالله التوفيق:
ذكر من وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة
وفد عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة غفارٌ، وأزد شنوءة، وهمدان، والطُّفيل بن
عمرو الدّوسيّ، ونصارى الحبشة.
وفد غفار
وقصّة أبي ذرّ الغفاريّ في سبب إسلامه
روى الشّيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله في كتابه المترجم بدلائل
النبوّة بسنده إلى عبد الله بن الصّامت، قال قال أبو ذرّ رضي الله عنه: خرجنا عن قومنا
غفار، وكانوا يحلّون الشّهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمّنا، فانطلقنا حتى نزلنا على
خالٍ لنا ذى مال وذى هيئة، فأكرمنا وأحسن إلينا، فحسدنا قومه، فقالوا له: إنك إذا
خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس، قال: فجاء خالنا فنثا علينا ما قيل له؛ فقلت له:
أمّا ما مضى من معروفك فقد كدّرته، ولاجماع لك فيما بعد.
قال: فقرّبنا صرمتنا
فاحتملنا عليها ويغطّي خالنا ثوبه فجعل يبكي وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكّة، فنافر
أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتينا الكاهن فخبّر أنيسا، فأتانا بصرمتنا ومثلها معها.
قال أبو ذرّ: وقد صلّيت يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث
سنين. قال ابن الصامت: فقلت لمن ؟ قال: لله. قلت: فأين توجّه ؟ قال: أتوجّه حيث

وجّهني الله؛ أصلّى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأنى خفاءٌ - يعني الثوب -
حتى تعلوني الشمس. فقال أنيس: إن لي صاحبا بمكة فاكفني حتى آتيك. فانطلق أنيس
حتى أتى مكة فراث عليّ، ثم أتاني فقلت: ما حبسك ؟ قال لقيت رجلاً بمكة يزعم أن
الله أرسله على دينك. قال: قلت ماذا يقول الناس فيه ؟ قال: يقولون إنه شاعرٌ وساحرٌ
وكاهنٌ. قال: وكان أنيس أحد الشعراء - وفي رواية عنه: والله ما سمعت بأشعر من أخي
أنيس - لقد ناقض اثنى عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم.
قال فقال أنيس: لقد سمعت
قول الكهانة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشّعر فلم يلتئم، وما يلتئم والله
على لسان أحد بعدى أنه شعرٌ، ووالله إنه لصادقٌ وإنهم لكاذبون.
قال: قلت له هل أنت كافيّ حتى انطلق فأنظر ؟ فقال: نعم ! وكن من أهل مكة على
حذر، فإنهم قد شنفوا له وتجهّموا. فانطلقت حتى قدمت مكة، فتضعّفت رجلا منهم
فقلت: أين هذا الذى تدعونه الصابيء ؟ قال: فأشار إليّ، الصابيء ! فمال عليّ أهل
الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا عليّ. قال: فارتفعت حين ارتفعت كأنّي
نصبٌ أحمر، فأتيت زمزم فشربت من مائها، وغسلت عنّي الدّم، ودخلت بين الكعبة
وأستارها، ولقد لبثت يابن أخي ثلاثين من بين ليلة ويوم ومالي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت
حتى تكسّرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع.
قال: فبينما أهل مكة
في ليلة قمراء إضحيان، قد ضرب الله على أصمخة أهل مكة فما يطوف بالبيت أحدٌ غير
امرأتين وهما تدعوان إسافاً ونائلة، فأتتا عليّ في طوافهما فقلت: أنكحا إحداهما الأخرى،
فما ثناهما ذلك عما قالتا. فأتتا عليّ فقلت: هنّ مثل الخشبة غير أنّي لا أكنى، فانطلقتا
تولولان وتقولان: لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا ! قال: فاستقبلهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبو بكر وهما هابطان من الجبل، فقال لهما: مالكما ؟ قالتا: الصّابئ بين
الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما ؟ قالتا: قال لنا كلمةً تملأ الفم. فجاء رسول الله

صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه فاستلم الحجر ثم طاف بالبيت هو وصاحبه ثم
صلى، فلما قضى صلاته قال أبو ذرّ: فأتيته فكنت أوّل من حيّاه بتحية الإسلام؛ فقال:
وعليك ورحمة الله، ثم قال: ممن أنت ؟ قلت: من غفار، قال: فأهوى بيده فوضع يده على
جبينه، فقلت في نفسى: كره أنى انتميت إلى غفار، قال: فأهويت لآخذ بيده، فقد عني
صاحبه وكان أعلم به منّي، ثم رفع رأسه فقال: متى كنت هاهنا ؟ قلت: منذ ثلاثين من
ليلة ويوم، قال: فمن كان يطعمك ؟ قلت: ما كان لي من طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتّى
تكسّرت عكن بطني، وما وجدت على كبدي سخفة جوع، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " إنها مباركةٌ، إنها طعام طعمٍ، وشفاء سقم " فقال أبو بكر: يا رسول الله !
إيذن لي في إطعامه الليلة، ففعل، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر،
وانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، فجعل يقبض لنا من زينب الطائف، فكان ذاك أوّل
طعام أكلته بها، قال: فغبرت ما غبرت، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني وجّهت إلى أرض ذات نخل لا أحسبها إلا يثرب،
فهل أنت مبلغ عنّي قومك لعل الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم "؛ قال: فانطلقت حتّى
أتيت أخي أنيساً فقال لي: ما صنعت ؟ قلت: أسلمت وصدّقت، قال: فما بي رغبةٌ عن
دينك، فإني قد أسلمت وصدّقت.
ثم أتينا أمّنا، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، قال: ثم
احتملنا حتى أتينا قومنا غفارا، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة، وكان يؤمّهم خفاف بن إيماء ابن رحضة الغفاريّ، وكان سيّدهم يومئذ، وقال
بقيتهم: إذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا؛ فقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة فأسلم بقيّتهم؛ وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله ! إخواننا؛ نسلم على
الذي أسلموا عليه. فأسلموا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " غفار غفر الله لها
وأسلم سالمها الله ".

وهذه الرواية فى خبر إسلام أبي ذرّ؛ قد روى مسلم فى صحيحه نحوها، وهي تخالف
رواية البخاريّ.
وروى البيهقيّ عن أبى ذرٍّ قال: كنت ربع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع؛ أتيت
النبيّ صلى الله عليه وسلم فقلت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ
محمدا عبده ورسوله، فرأيت الاستبشار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قال لأخيه أنيس: اركب إلى هذا الوادي،
فاعلم لي علم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله، ثم ايتني؛
فانطلق حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت
منه كلاما ما هو بالشعر. قال: ما شفيتني فيما أردت، فتزوّد وحمل شنّة له فيها ماءٌ حتى
قدم مكة فأتي المسجد، فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه
حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه عليّ بن أبي طالب؛ فقال: كأنّ الرجل غريبٌ، قال: نعم،
قال انطلق إلى المنزل، قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله، فلما أصبحت من
الغد رجعت إلى المسجد، وبقيت يومي حتى أمسيت وصرت إلى مضجعي، فمرّ بي عليّ
بن أبي طالب، فقال: أما آن للرّجل أن يعرف منزله ؟ فأقامه وذهب به معه، وما يسأل
واحدٌ منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه عليٌّ
معه، ثم قال: ألا تحدّثني ما الذي أقدمك هذا البلد ؟ قال: إن أعطيتني عهدا وميثاقا
لترشدني فعلت؛ ففعل؛ فأخبره عليّ أنه نبيٌّ، وأنّ ما جاء به حقٌّ، وأنّه رسول الله، قال:
فإذا أصبحت فاتّبعني، فإني إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنّي أريق الماء، فإن
مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، قال: فانطلقت أقفوه حتى دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ودخلت معه وحييت رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحيّة

الإسلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله ! فكنت أوّل من حياه بتحية الإسلام، فقال: "
وعليك السلام، من أنت " ؟ قلت: رجل من غفار، فعرض على الإسلام، فأسلمت
وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" ارجع إلى بلاد قومك، وأخبرهم، واكتم أمرك عن أهل مكة، فإني أخشاهم عليك "
فقلت: والذي نفسي بيده لأصرحنّ بها بين أظهرهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى
بأعلى صوته ! أشهد أن لا إلى إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فثاب القوم إليه
فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبّ عليه وقال: ويلكم ! أولستم تعلمون أنه من
غفار، وأنّ طريق تجاركم إلى الشام عليهم ! وأنقذه منهم، ثم عاد إلى مشهد وثاروا إليه
فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه، ثم لحق بقومه. وكان هذا أوّل إسلام أبي ذرٍّ.
ومن رواية اللّيث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال: قدم أبو ذرٍّ على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة فأسلم، ثم رجع إلى قومه، فكان يسخر بآلهتهم، ثم إنه قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فلما رآه وهم فى اسمه، فقال: أنت أبو نملة ؟
قال: أنا أبو ذرّ، قال: نعم أبو ذرّ.

أزد شنوءة

وكيف كان إسلام ضمادٍ

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ - رحمه الله - بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهم، قال: قدم ضماد مكة، وهو رجلٌ من أزد شنوءة، وكان يرقى من
هذه الرياح، فسمع سفهاء الناس يقولون: إنّ محمدا مجنونٌ، فقال: أتى هذا الرجل لعل الله أن
يشفيه على يديّ، قال: فلقيت محمدا، فقلت: إنى أرقى من هذه الرياح، وإن الله يشفى على
يدي من يشاء، فهلمّ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّ الحمد لله نحمده
ونستعينه، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله " ثلاث مرات، فقال: تالله لقد سمعت قول

الكهنة، وقول السّحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات، فهلمّ يدك أبايعك
على الإسلام، فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: وعلى قومك ؟ فقال:
وعلى قومي، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّية فمرّوا بقوم ضماد، فقال
صاحب الجيش للسريّة: هل أصبتم من هؤلاء شيئا ؟ فقال رجل منهم: مطهرة، فقال:
ردّوها عليهم فإنهم قوم ضماد. رواه مسلم فى صحيحه.
وروى القاضي عياض بن موسى فى كتابه المترجم بالشّفا، بتعريف حقوق المصطفى: أن
ضمادا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أعد عليّ كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس
البحر، هات يديك أبليعك.

همدان

قال محمد بن سعد رحمه الله تعالى: أخبرنا هشام بن محمد، قال: حدثنا حبّان ابن هانيء
بن مسلم بن قيس بن عمرو بن مالك بن لأيٍ الهمدانيّ ثم الأرحبيّ عن أشياخهم، قالوا:
قدم قيس بن مالك بن سعد بن مالك بن لأيٍ الأرحبيّ على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بمكة، فقال: يا رسول الله أتيتك لأومن بك وأنصرك؛ فقال له: مرحباً بك،
أتأخذوني بما فيّ يا معشر همدان ؟ قال: نعم؛ بأبي أنت وأمّي، قال: فاذهب إلى قومك،
فإن فعلوا فارجع أذهب معك، فخرج قيس إلى قومه، فأسلموا واغتسلوا فى جوف المحورة
- وهو ماءٌ يغتسلون فيه - وتوجّهوا إلى القبلة، ثم خرج بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فقال: قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " نعم وافد القوم قيسٌ "، وقال: " وفّيت وفّي الله بك "، ومسح بناصيته، وكتب
عهده على قومه همدان: أحمورها وعربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا، فإنّ
لهم ذمّة الله وذمّة رسوله ما أقمتم الصّلاة وآتيتم الزّكاة؛ وأطعمه ثلثمائة فرق، من خيوان
مائتان: زبيبٌ وذرةٌ شطران، ومن عمران الجوف مائة فرق برّ، جاريةً أبداً من مال الله.
ومن طريق آخر له قال: عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بالموسم على قبائل

العرب، فمرّ به رجلٌ من أرحب يقال له: عبد الله بن قيس بن أمّ غزال. فقال: هل عند
قومك من منعة ؟ قال: نعم، فعرض عليه الإسلام، فأسلم، ثم إنه خاف أن يخفره قومه
فوعده الحجّ من قابل، ثم وجّه الهمدانيّ يريد قومه، فقتله رجلٌ من بني زبيد يقال له ذباب،
ثم إن فتية من أرحب قتلوا ذبابا الزّبيديّ بعبد الله بن قيس. هذا قبل الهجرة.
وأما بعد الهجرة، فقد روى محمد بن إسحاق، رحمه الله، قال: قدم وفد همدان على
رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم مالك بن نمط، وأبو ثور وهو ذو المشعار، ومالك
بن أيفع، وضمام بن مالك السّلماني، وعميرة بن مالك الخارفيّ، فلقوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرجعه من تبوك، وعليهم مقطّعات الحبرات والعمائم العدنيّة، برحال الميس
على المهريّة والأرحبيّة، ومالك بن نمط، ورجل آخر يرتجزان بالقوم؛ يقول أحدهما:

همدان خير سوقةٍ وأقيال ليس لها في العالمين أمثال
محلّها الهضب ومنها الأبطال لها إطاباتٌ بها وآكال

ويقول الآخر:

إليك جاوزن سواد الرّيف فى هبوات الصّيف والخريف
مخطّماتٍ بحبال اللّيف

فقام مالك بن نمط بين يديه، ثم قال: يا رسول الله ! نصيّةٌ من همدان من كل حاضر و بادٍ،
أتوك على قلصٍ نواجٍ، متّصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم فى الله لومة لائم، من مخلافٍ
خارفٍ ويامٍ وشاكر، أهل السّود والقود، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا آلهات الأنصاب،
عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع، وما جرى اليعفور بضلع. فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " نعم الحيّ همدان، ما أسرعها إلى النّصر، وأصبرها على الجهد، ومنهم أبدال،
وفيهم أوتاد الإسلام "، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا؛ فيه: " بسم الله
الرحمن الرحيم. كتابٌ من محمد رسول الله لمخلاف خارفٍ وأهل جناب الهضب وحقاف
الرّمل، مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه، على أن لهم فراغها و
وهاطلها وعزازها، يأكلون علافها، ويرعون عافيها، لنا منهم من دفئهم وصرامهم ما سلّموا

بالميثاق والأمانة، ولهم من الصّدقة الثّلب والثّاب والفصيل والفارض والدّاجن والكبش
الحوريّ، وعليهم فيها الصّالغ والقارح، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزّكاة، لهم بذلك عهد الله
وذمام رسول الله عليه السلام، وشاهدهم المهاجرون والأنصار ".

وفادة الطّفيل بن عمرو
الدّوسىّ وإسلامه

قال محمد بن إسحق رحمه الله تعالى: كان الطّفيل بن عمرو الدّوسي يحدّث أنه قدم مكّة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجالٌ من قريش - وكان الطّفيل رجلا
شريفا شاعرا لبيبا - فقالوا له: يا طفيل ! إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذى بين أظهرنا
قد أعضل بنا، قد فرّق بين جماعتنا، وشتّت أمرنا، وإنما قوله كالسّحر يفرّق بين الرجل وبين
أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما
قد دخل علينا، فلا تكلمنه، ولا تسمعن منه شيئا. قال الطّفيل: فوالله ما زالوا بي حتى
أجمعت على ألاّ أسمع منه شيئا ولا أكلّمه، حتى حشوت فى أذني حين غدوت إلى
المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغني شىء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه ! قال: فغدوت
إلى المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلّي عند الكعبة، فقمت منه
قريبا، فأبى الله إلاّ أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاما حسنا، فقلت في نفسي: واثكل
أمّي؛ والله إنّي لرجلٌ لبيبٌ شاعر، وما يخفي عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع
من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، قال:
فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته، فاتبعته حتى إذا دخل
بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إنّ قومك قد قالوا لى كذا وكذا - للذى قالوا - فوالله ما
برحوا يخوّفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف ألا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن
يسمعني قولك، فسمعت قولا حسنا، فاعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الإسلام، وتلى عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قطّ أحسن منه،

ولا أمرا أعدل منه، فأسلمت، وشهدت شهادة الحقّ، فقلت: يا نبيّ الله ! إني امرؤ مطاعٌ في
قومي، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم
فيما أدعوهم إليه. فقال: " اللهم إجعل له آية "، فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنيّة
تطلعني على الحاضر وقع نورٌ بين عيني مثل المصباح؛ قلت: اللهم في غير وجهي ! إنّي
أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحوّل النّور فوقع في رأس
سوطي، فجعل الحاضر يتراءون ذلك النّور في سوطي كالقنديل المعلّق، وأنا أهبط إليهم من
الثّنية حتى جئتهم، فأصبحت فيهم، قال: فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخا كبيرا، فقلت:
إليك عنّي يا أبت، فلست منك ولست منّي، قال: لم يا بنيّ ؟ قلت: أسلمت وتابعت دين
محمد، قال: أي بنيّ ! فديني دينك، قلت: فاذهب واغتسل، وطهّر ثيابك، ثم تعال حتى
أعلّمك مما علّمت، فذهب فاغتسل وطهّر ثيابه ثم جاء، فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم
أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عنّي فلست منك ولست منّي، قالت: لما ؟ بأبي أنت وأمّي
! قلت: فرّق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد عليه السلام. قالت: فديني دينك،
قلت: فاذهبي إلى حنا ذي الشّرى - قال ابن هشام: ويقال حمى ذي الشّرى – فتطهّري
منه.
قال: وكان ذو الشّرى صنما لدوس، وكان الحنا حمىً حموه له، وبه وشلٌ من ماء يهبط من
جبل، قال فقالت: بأبي أنت وأمّي، أتخشى على الصّبيّة من ذي الشّرى شيئا ؟ قلت: لا،
أنا ضامن لك، قال: فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت، فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم
دعوت دوسا إلى الإسلام فأبطئوا عليّ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة،
فقلت له: يا نبيّ الله ! إنّه قد غلبني على دوسٍ الزّنى، فادع الله عليهم، فقال: " اللّهمّ اهد
دوسا، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم "، قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى
الإسلام، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثم أسلموا بعد ذلك، و

وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما نذكر ذلك - إن شاء الله تعالى –
فيمن وفد بعد الهجرة.
نصارى الحبشة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامهم
قال محمد بن إسحق: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا
أو قريبٌ من ذلك من النّصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا
إليه وكلّموه، وسألوه - ورجالٌ من قريش في أنديتهم حول الكعبة - فلما فرغوا من مسألته
صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الله، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من
الدّمع، ثم استجابوا لله تعالى وآمنوا به وصدّقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم
من أمره، فلمّا قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيّبكم
الله من ركب ! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرّجل، فلم
تطمئنّ مجالسكم عنده حتى فارقكم دينكم، وصدّقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم
! فقالوا لهم: سلامٌ عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا
خيرا. ويقال: إن النّفر من أهل نجران. والله أعلم. فيقال فيهم أنزل الله قوله: " الذين
آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنّا به إنّه الحقّ من ربّنا إنّا
كنّا من قبله مسلمين ". إلى قوله: " لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلامٌ عليكم لا نبتغي
الجاهلين ": وقيل: إنما نزلت هذه الآيات في النّجاشي وأصحابه، والآيات التي في سورة
المائدة قوله تعالى: " ذلك بأنّ منهم قسّيسين ورهباناً وأنّهم لا يستكبرون ". إلى " الشّاهدين
"، وكان ممّن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة الأوس والخزرج، وقد
تقدم ذكرهم في بيعة العقبة.
من وفد بعد الهجرة
وقبل الفتح
وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقبل فتح مكّة: عبسٌ، وسعد
العشيرة، وجهينة، ومزينة، وسعد بن بكر، وأشجع، وخشين، والأشعرون، وسليم،

ودوسٌ، وأسلم، وجذام.
عبس
قال محمد بن سعد: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة رهط من بني عبس
فكانوا من المهاجرين الأوّلين، منهم ميسرة بن مسروق، والحارث بن الربيع - وهو الكامل –
وقنان بن دارمٍ، وبشر بن الحارث بن عبادة، وهدم بن مسعدة، وسباع بن يزيدٍ، وأبو
الحصن بن لقمان، وعبد الله بن مالك، وفروة بن الحصين بن فضالة فأسلموا؛ فدعا لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير، وقال: " أبلغوني رجلا يعشركم أعقد لكم لواءً "
فدخل طلحة بن عبيد الله فعقد لهم لواء، وجعل شعارهم: يا عشرة.
وقال من طريق آخر: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش أقبلت من الشام
فبعث بني عبس في سرية وعقد لهم لواء، يا رسول الله ! كيف نقسم غنيمة إن أصبناها
ونحن تسعة ؟ قال: أنا عاشركم.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم ثلاثة نفرٍ من بني عبس على رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فقالوا: إنه قدم علينا قوم فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموالٌ
ومواشٍ هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا. فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " اتقوا الله حيث كنتم، فلن يلتكم من أعمالكم شيئا، ولو كنتم
بصمدٍ وجازان ".
سعد العشيرة
قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفيّ قال: لمّا سمعت سعد
العشيرة بخروج النبي صلى الله عليه وسلم وثب ذباب - رجلٌ من بني أنس الله بن سعد
العشيرة - إلى صنم يقال له فرّاص فحطمه، ثم وفد إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم،
قال:

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى وخلّفت فرّاصًا بدار هوان
شددت عليه شدّةً فتركته كأن لم يكن والدّهر ذو حدثان
فلمّا رأيت الله أظهر دينه أجبت رسول الله حين دعاني
فأصبحت للإسلام ما عشت ناصرا وألقيت فيها كلكلي وجراني
فمن مبلغٌ سعد العشيرة أنّني شريت الّذي يبقى بآخر فاني

جهينة
قال ابن سعد: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وفد إليه عبد العزّى بن
بدر بن زيد بن معاوية الجهنيّ، ومعه أخوه لأمه أبو روعة وهو ابن عم له، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعبد العزّى: " أنت عبد الله " وقال لأبي روعة: " أنت رعت العدوّ
إن شاء الله " وقال: " من أنتم " ؟ قالوا: بنو غيّان، قال: " أنتم بنو رشدان " وكان اسم
واديهم غوى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم رشدا، وقال لجبلى جهينة الأشعر
والأجرد: " هما من جبال الجنة لا تطؤهما فتنةٌ "، وخطّ لهم مسجدهم، وهو أوّل مسجد
خطّ بالمدينة، وجاء من جهينة عمرو بن مرّة الجهنيّ. روى عنه محمد بن سعد بسنده إليه
قال: كان لنا صنمٌ، وكنا نعظّمه، وكنت سادنه، فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه
وسلم كسرته، وخرجت حتى أقدم المدينة على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقدمت
فأسلمت وشهدت شهادة الحقّ، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام، فذلك حين أقول:

شهدت بأنّ الله حقٌّ وأنّني لآلهة الأحجار أوّل تارك
وشمّرت عن ساقي الإزار مهاجراً إليك أجوب الوعث بعد الدّكادك
لأصحب خير النّاس نفساً ووالدا رسول مليك النّاس فوق الحبائك

قال: فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه إلاّ
رجلا ردّ عليه قوله، فدعا عليه عمرو بن مرّة فسقط فوه، فما كان يقدر على الكلام،
وعمي واحتاج.

مزينة
وهذا الوفد هو أوّل ما بدأ به محمد بن سعد من الوفود في طبقاته، فقال: كان أول من وفد
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضر أربعمائة من مزينة، وذلك في شهر رجب
سنة خمسٍ، فجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهجرة في دارهم وقال: " أنتم
مهاجرون حيث كنتم فارجعوه إلى أموالكم " فرجعوا إلى بلادهم. وقال محمد بن سعدٍ
بسندٍ يرفعه إلى أبي مسكين، وأبي عبد الرحمن العجلانيّ، قالا: قدم على رسول الله صلى

الله عليه وسلم نفرٌ من مزينة، منهم خزاعيّ بن عبد نهم فبايعه على قومه مزينة، وقدم معه
عشرةٌ منهم، فيهم بلال بن الحارث، والنعمان ابن مقرّن، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما
ظنّ فأقام، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسّان بن ثابت، فقال: " اذكر خزاعيّاً
ولا تهجه " فقال حسّان:

ألا أبلغ خزاعيّا رسولا بأنّ الذّمّ يغسله الوفاء
وأنّك خير عثمان بن عمرٍو وأسناها إذا ذكر السّناء
وبايعت الرّسول وكان خيراً إلى خير وآداك الثّناء
فما يعجزك أو ما لا تطقه من الأشياء لا تعجز عداء

قال: و "عداء " بطنه الذي هو منه. فقام خزاعيٌّ فقال: يا قوم ! قد خصّكم شاعر
الرجل، فأنشدكم الله. قالوا: فإنّا لا ننبو عليك؛ فأسلموا ووفدوا على النبي صلى الله عليه
وسلم. فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مزينة يوم الفتح إلى خزاعيّ، وكانوا
يومئذ ألف رجل.

سعد بن بكر

قال محمد بن إسحق: بعثت بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
منهم ضمام بن ثعلبة - قال ابن سعد: في شهر رجب سنة خمس - قال ابن إسحق
بسنده إلى ابن عباس: فقدم وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ في أصحابه. قال: وكان ضمام رجلا جلدا أشعر
ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه، فقال
أيّكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا ابن عبد المطلب ".
قال: أمحمّدٌ ؟ قال: " نعم ". قال: يابن عبد المطلب ! إني سائلك ومغلظٌ عليك في
المسئلة، فلا تجد في نفسك. قال: " لا أجد في نفسي، فاسأل عما بدا لك " قال: أنشدك
الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائنٌ بعدك، الله بعثك إلينا رسولا ؟ قال: "
اللهم نعم " قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائنٌ بعدك، الله أمرك
أن تأمرنا أن نعبده وحده، لا نشرك به شيئا، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون

معه ؟ قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، الله أمرك ان
نصلي هذه الصلاة الخمس ؟ قال: " نعم ". قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضةً
فريضةً: الزكاة، والصيام، والحج وشرائع الإسلام كلها، ينشده عن كل فريضة منها كما ينشده
في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،
وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لاأزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى
بعيره راجعا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن صدق ذو العقيصتين دخل
الجنة " قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان
أوّل ما تكلم به: بئست اللاّت والعزّى ! فقالوا: مه يا ضمام ! اتّق البرص، اتق الجذام، اتّق
الجنون ! قال: ويلكم ! إنهما والله لا ينفعان ولا يضران، إن الله قد بعث رسولا وأنزل
عليه كتابا، فاستنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأن محمدا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، ونهاكم عنه، قال: فو الله ما
أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجلٌ أو امرأةٌ إلا مسلما.
قال: يقول عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من
ضمام بن ثعلبة.

أشجع

قال: وقدمت أشجع على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق، وعام الخندق
سنة خمسٍ من الهجرة، وهم مائةٌ، رأسهم مسعود بن رخيلة بن نويرة ابن طريفٍ، فنزلوا
شعب سلع، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر لهم بأحمال التمر، فقالوا يا
محمد ! لا نعلم أحدا من قومنا أقرب دارا منك منّا، ولا أقل عددا، وقد ضقنا بحربك
وبحرب قومك، فجئنا نوادعك، فوادعهم.
ويقال: بل قدمت أشجع بعد ما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني قريظة، وهم
سبعمائة فوادعهم. ثم أسلموا بعد ذلك.

خشين

قال أبو عبد الله محمد بن سعد: قدم أبو ثعلبة الخشنيّ على رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو يتجهّز إلى خيبر، فأسلم وخرج معه فشهد خيبر، ثم قدم بعد ذلك سبعة نفرٍ
من خشين فنزلوا على أبي ثعلبة، فأسلموا وبايعوا ورجعوا إلى قومهم.
الأشعريين
قالوا: وقدم الأشعرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم خمسون رجلا؛ منهم
أبو موسى الأشعري، ومعهم رجلان من عكّ. وقدموا في سفنٍ في البحر، وخرجوا بجدّة،
فلما دنوا من المدينة جعلوا يقولون:
غدًا نلقى الأحبّة محمّدًا وحزبه
ثم قدموا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره بخيبر، فلقوه صلى الله عليه
وسلم فبايعوه وأسلموا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأشعرون في الناس كصرّة
فيها مسك ".
سليم
قالوا: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من بني سليم، يقال له قيس ابن
نسيبة، فسمع كلامه، وسأله عن أشياء فأجابه، ووعى ذلك كله، ودعاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: قد سمعت برجمة الروم، وهينمة
فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مقاول حمير، فمن يشبه كلام محمد شيئا من
كلامهم، فأطيعوني وخذوا بنصيبكم منه. فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقوه بقديد وهم سبعمائة. ويقال: كانوا ألفا. وفيهم
العباس بن مرداس السّلمي، وأنس بن عبّاس بن رعل، وراشد بن عبد ربه، فأسلموا
وقالوا: اجعلنا في مقدّمتك، واجعل لواءنا أحمر، وشعارنا مقدّم، ففعل ذلك بهم. وأعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم راشدا رهاطًا وفيها عينٌ يقال لها عين الرسول. قال:
وكان راشدٌ يسدن صنما لبني سليم، فرأى يوما ثعلبين يبولان عليه، فقال:
أربٌّ يبول الثّعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثّعالب
ثم شدّ عليه فكسره. وأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: " ما اسمك " ؟ قال:
غاوي بن عبد العزّى، فقال: " أنت راشد بن عبد ربّه " فأسلم حسن إسلامه وشهد

الفتح. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " خير بني سليم راشد " وعقد له على قومه.
وروى محمد بن سعد أيضا، عن هشام بن محمد، قال حدّثني رجلٌ من بني سليم من بني
الشّريد، قال: وفد رجل منا يقال له قدد بن عمّار على النبيّ صلى الله عليه وسلم،
وعاهده على أن يأتيه بألف من قومه على الخيل؛ وأنشأ يقول:

شددت يميني إذ أتيت محمّدًا بخير يدٍ شدّت بحجزة مئزر
وذاك امرؤ قاسمته نصف دينه وأعطيته كفّ امرىءٍ غير أعسر

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر، فخرج معه تسعمائة، وخلّف في الحيّ مائةً، وأقبل يريد النبيّ
صلى الله عليه وسلم فنزل به الموت، فأوصى إلى ثلاثة رهطٍ من قومه؛ وهم: عباس بن
مرداس وأمّره على ثلثمائة، وجبّار بن الحكم وأمّره على ثلثمائة، والأخنس بن يزيد وأمّره
على ثلثمائة. وقال: ايتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي ثم مات، فمضوا
حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " أين الرجل الحسن الوجه،
الطويل اللسان، الصادق الأيمان " ؟.
قالوا: يا رسول الله ! دعاه الله فأجابه، وأخبروه خبره؛ فقال: " أين تكملة الألف الذين
عاهدني عليهم " ؟. قالوا: خلّف مائةً في الحيّ مخافة حرب كان بيننا وبين بني كنانة، قال:
" ابعثوا إليها فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيءٌ تكرهونه ".
فبعثوا إليها فأتته بالهدّة
وعليها المنقع بن مالك بن أمية، فشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح
وحنين. وللمنقع يقول العباس بن مرداس:

القائد المائة التي وفّى بها تسع المئين فتمّ ألفٌ أقرع

وحكى أبو عمر عبد البر في ترجمة خنساء بنت عمرو بن الشّريد السّلميّة الشاعرة -
واسمها تماضر بنت عمرو بن الشّريد بن رباح بن ثعلبة بن عصيّة بن خفاف بن امريء
القيس بن بهثة بن سليم - أنها قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من
بني سليم فأسلمت معهم. قال: فذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يستنشدها، ويعجبه شعرها، فكانت تنشده، وهو يقول: " هيه يا خناس " ويوميء بيده.

وشهدت الخنساء القادسيّة مع بنيها الأربعة. وسنذكر إن شاء الله خبرها معهم يوم
القادسية، و وصيتها لهم في الحرب في خلافة عمر بن الخطاب، عند ذكرنا لفتح القادسية.

دوس

قالوا: لمّا أسلم الطّفيل بن عمرو الدّوسيّ - كما تقدم - دعا قومه فأسلموا، وقدم معه
منهم المدينة سبعون أو ثمانون أهل بيت. وفيهم أبو هريرة وعبد الله ابن أزيهر الدّوسيّ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فساروا إليه فلقوه هناك، فيقال: إنه قسم لهم من
غنائم خيبر، ثم قدموا معه المدينة. فقال الطّفيل ابن عمرو: يا رسول الله ! لا تفرّق بيني
وبين قومي، فأنزلهم حرّة الدّجاج، فقال أبو هريرة حين خرج من دار قومه:

يا طولها من ليلةٍ وعنائها على أنّها من بلدة الكفر نجّت

وقال عبد الله بن أزيهر: يا رسول الله ! إن لي في قومي سلطة ومكانا فاجعلني عليهم،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أخا دوس، إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود
غريباً، فمن صدق الله نجا، ومن آل إلى غير ذلك هلك. إن أعظم قومك ثوابا أعظمهم
صدقاً، ويوشك الحقّ أن يغلب الباطل ".

وروى أبو عمر بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال: بلغني أنّ دوساً إنّما أسلمت فرقا من
قول كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي:

قضينا من تهامة كلّ وترٍ وخيبر ثم أغمدنا السّيوفا
نخيّرها ولو نطقت لقالت قواطعهنّ: دوساً أو ثقيفا

فقالت دوسٌ: انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.

أسلم

قالوا: قدم عمير بن أفصى في عصابة من أسلم، فقالوا: لقد آمنا بالله ورسوله، واتّبعنا
منهاجك، فاجعل لنا عندك منزلة، تعرف العرب فضيلتنا، فإنّا إخوة الأنصار، ولك علينا
الوفاء، والنّصر في الشّدّة والرّخاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أسلم سالمها
الله، وغفار غفر الله لها ". وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم، ومن أسلم من
قبائل العرب ممن يسكن السّيف والسّهل كتابا؛ فيه ذكر الصدقة والفرائض في المواشي.

وكتب الصّحيفة ثابت ابن قيس، وشهد أبو عبيدة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

جذام

قالوا: قدم رفاعة بن زيد بن عمير بن معبد الجذاميّ، ثم أحد بني الضّبيب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الهدنة قبل خيبر، وأهدى له عبدًا وأسلم، فكتب له رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتابا؛ فيه: " هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد إلى
قومه، ومن دخل معهم، يدعوهم إلى الله، فمن أقبل ففي حزب الله، ومن أبى فله أمان
شهرين " فأجابه قومه وأسلموا. قال ابن إسحق وغيره: وبعث فروة بن عمرو بن النّافرة
الجذاميّ، ثم النّفاثيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً بإسلامه، وأهدى له بغلة
بيضاء، واسم رسوله مسعود بن سعد وهو من قومه، فقرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم كتابه، وقبل هديته، وأجاز رسوله باثنتي عشرة أوقيةً ونشً، وكتب إلى فروة جواب
كتابه. وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من
أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه فحبسوه عندهم؛ فقال: في محبسه ذلك:

طرقت سليمى موهنًا أصحابي والرّوم بين الباب والقروان
صدّ الخيال وساءه ما قد رأى وهممت أن أغفي وقد أبكاني
لا تكحلنّ العين بعدى إثمدًا سلمى ولا تدنىّ للإتيان
ولقد علمت أبا كبيشة أنّني وسط الأعزّة لا يحصّ لساني
فلئن هلكت لتفقدنّ أخاكم ولئن بقيت لتعرفنّ مكاني
ولقد جمعت أجلّ ما جمع الفتى من جودةٍ وشجاعةٍ وبيان

قال: ولما قدّموه ليضربوا عنقه قال:

أبلغ سراة المؤمنين بأنّني سلمُ لربّي أعظمي ومقامي

فضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء.

هذا ما تلخص لنا من أخبار من وفد بعد الهجرة وقبل الفتح، فلنذكر من وفد بعد الفتح.

من وفد بعد فتح مكة

شرّفها الله تعالى وعظمها

ولنبدأ من ذلك بذكر وفد ثعلبة؛ لأنه أوّل وفد كان بعد الفتح. ثم نذكر من وفد في سنة
تسعٍ من الهجرة وما بعدها، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد في طبقاته،
إلا أنا نستثنى منهم من قدّمنا ذكره بحكم سابقتهم، وتقدّم إسلامهم.

ثعلبة
قال أبو عبد الله محمد بن سعد رحمه الله: لمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الجعرانة، في سنة ثمانٍ من الهجرة، قدم عليه أربعة نفر، وقالوا: نحن رسل من خلفنا من
قومنا، ونحن وهم مقرّون بالإسلام، فأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضيافةٍ،
وأقاموا أياماً ثم جاءوا ليودّعوه فأمر بلالاً أن يجيزهم، كما يجيز الوفد، فجاء بنقرٍ من فضّة
فأعطى كل رجلٍ منهم خمس أواقٍ، وقال: " ليس عندنا دراهم " وانصرفوا إلى بلادهم.
أسد
قال محمد بن سعد: قدم عشرة رهط من بني أسد بن خزيمة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم، في أوّل سنة تسع من الهجرة، فيهم حضرميّ بن عامر، وضرار ابن الأزور،
فقال حضرميّ: يا رسول الله ! أتيناك نتدرّع الليل البهيم، في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا
بعثا، فنزل فيهم قوله عز وجل: " يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله
يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ".
قال: وكان معهم قوم من بني الرّنية وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان ابن أسد،
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنتم بنو الرّشدة ".
وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثّعلبيّ رحمه الله: إنّ نفرا من بني أسد، ثم من بني
الحلاف بن الحارث بن سعيد، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة
جدبة، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يكونوا مؤمنين في السّر، وأفسدوا طرق المدينة
بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، يقولون: أتتك العرب بأنفسها، على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال
والذّراريّ - يمنّون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان
وبنو فلان. ويريدون الصّدقة، ويقولون: أعطنا. فأنزل الله عز وجل فيهم: " قالت الأعراب
آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " الآيات. وقيل: نزلت في الأعراب: مزينة، وجهينة،

وأسلم، وأشجع، وغفار. وكانوا يقولون: آمنّا بالله؛ ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما
استنفروا إلى الحديبية تخلّفوا، فأنزل الله فيهم: " قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
أسلمنا " أي انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسّبي " ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم " فأخبر
تعالى أن حقيقة الأيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان، وإظهار شرائعه بالأبدان، لا
يكون إيمانا دون الإخلاص الذي محلّه القلب.

وفد تميم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث بشر بن
سفيان. ويقال: النّحّام العدويّ على صدقات بني كعب من خزاعة، فجاء وقد حلّ
بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فجمعت خزاعة مواشيها
للصدقة، فاستنكرت ذلك بنو تميم، وأبوا وابتدروا القسيّ، وشهروا السّيوف، فقدم
المصدّق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره؛ فقال: " من لهؤلاء القوم " ؟
فانتدب لهم عيينة بن حصن، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسين فارسا من
العرب، ليس فيهم مهاجريّ ولا أنصاريّ فأغار عليهم، فأخذ منهم أحد عشر رجلا،
وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبيا، فجلبهم إلى المدينة، فقدم فيهم عدّة من رؤساء بني
تميم، منهم عطارد بن حاجب، والزّبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث،
ونعيم بن سعد، والأقرع بن حابس، ورياح ابن الحارث، وعمرو بن الأهتم، وغيرهم كما
ذكرنا ذلك في الغزوات في خبر سريّة عيينة. قال ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلا.

قال ابن إسحق: والحتات بن يزيد أحد بني دارم. قال: ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة
بن بدر الفزاريّ، قالوا: فدخلوا المسجد وقد أذّن بلالٌ بالظهر؛ والناس ينتظرون خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعجلوا واستبطأوه، فنادوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من وراء حجراته: يا محمد ! اخرج إلينا. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وأقام بلال، فصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر، ثم أتوه؛ فقال الأقرع بن حابس:

يا محمد، ايذن لي، فوالله إنّ حمدي لزينٌ، وإنّ ذمّي لشينٌ.
فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " كذبت، ذاك الله تبارك وتعالى ". حكاه ابن سعد.
وحكى محمد بن إسحق أنهم قالوا: يا محمد، جئناك لنفاخرك،
فأذن لشاعرنا وخطيبنا.
قال: " لقد أذنت لخطيبكم فليقل "، فقام عطارد بن حاجب،
فقال الحمد لله الذي له علينا
الفضل والمنّ؛ وهو أهله الذي جعلنا ملوكا، ووهب لنا أموالا
عظاما، نفعل فيها المعروف،
وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عددا، وأيسره عدّة، فمن مثلنا
في النّاس ؟ ألسنا برؤوس
النّاس وأولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا، وإنّا
لو نشاء لأكثرنا الكلام،
ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وأنّا نعرف بذلك. أقول هذا
لأن تأتونا بمثل قولنا، وأمرٍ
أفضل من أمرنا. ثم جلس.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن
الشّماس أخي بن الحارث ابن
الخزرج: " قم فأجب الرجل في خطبته ". فقام ثابت فقال:
الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهنّ أمره،
ووسع كرسيّه علمه، ولم يك
شيء قطّ إلا من فضله، وكان من قدرته أن جعلنا ملوكا،
واصطفى من خير خلقه رسولاً،
أكرمه نسبًا، وأصدقه حديثًا، وأفضله حسبًا، فأنزل عليه كتابه،
وائتمنه على خلقه فكان
خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن
برسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرون من قومه وذوي رحمه؛ أكرم الناس أحسابًا، وأحسن
الناس وجوهًا، وخير
الناس فعالاً. ثم كان أوّل الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحن؛ فنحن أنصار الله، ووزراء رسول الله صلى الله عليه
وسلم نقاتل الناس حتى
يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر
جاهدناه في الله أبدًا، وكان
قتله علينا يسيرا.
أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام
عليكم.
فقام الزّبرقان بن بدر، فقال:
نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا منّا الملوك وفينا تنصب البيع
ويروى: وفينا يقسم الرّبع، بدل تنصب البيع.
وكم قسرنا من الأحياء كلّهم عند النّهاب وفضل العزّ يتّبع

ونحن يطعم عند القحط مطعمنا من الشّواء إذا لم يؤنس القزع
بما ترى الناس تأتينا سراتهم من كلّ أرضٍ هويًّا ثم نصطنع
ويروى:
من كلّ أرضٍ هوانًا ثم نتّبع
فننحر الكوم عبطًا في أرومتنا للنّازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخرهم إلاّ استقادوا وكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه فيرجع القوم والأخبار تستمع
إنّا أبينا ولم يأبى لنا أحدٌ إنّا كذلك عند الفخر نرتفع
قال محمد بن إسحق: وكان حسان بن ثابت غائبا، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فقال حسان: جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم،
فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول:
منعنا رسول الله إذ حلّ وسطنا على أنف راضٍ من معدٍّ وراغم
منعناه لمّا حلّ بين بيوتنا بأسيافنا من كلّ باغٍ وظالم
ببيتٍ حريدٍ عزّه وثراؤه بجابية الجولان وسطَ الأعاجم
هل المجد إلاّ السّودد العود والنّدى وجاه الملوك واحتمال العظائم
قال: فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقام شاعر القوم فقال ما قال،
عرضت في قوله وقلت على نحو ما قال. قال: ولما فرغ الزّبرقان من إنشاده، قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت: " قم فأجب الرجل " فقام حسّان فقال:
إنّ الذّوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بيّنوا سنّةً للناس تتّبع
يرضى بها كلّ من كانت سريرته تقوى الإله وكلّ الخير يصطنع
ويروى:
يرضى بها كلّ من كانت سريرته تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدّوهم أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفعوا
سجيّةٌ تلك منهم غير محدثةٍ إنّ الخلائق فاعلم شرّها البدع
إن كان في الناس سبّاقون بعدهم فكلّ سبقٍ لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع النّاس ما أوهت أكفّهم عند الرّقاع ولا يوهون ما رقعوا
إن سابقوا الناس يومًا فاز سبقهم أو وازنوا أهل مجدٍ بالذّرى متعوا

أعفّةٌ ذكرت في الوحى عفّتهم لا يطبعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جارٍ بفضلهم ولا يمسّهم من مطمع طبع
إذا نصبنا لحيٍّ لا ندبّ لهم كما يدبّ إلى الوحشيّة الذّرع
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها إذا الزّعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوّهم وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا هلع
كأنّهم في الوغى والموت مكتنعٌ أسدٌ بحلية في أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفوًا إذا غضبوا ولا يكن همّك الأمر الذي منعوا
فإنّ في حربهم فاترك عداوتهم شرًّا يخاض عليه السّمّ والسّلع
أكرم بقومٍ رسول الله شيعتهم إذا تفاوتت الأهواء والشّيع
أهدى لهم مدحتي قلبٌ يؤازره فيما أحبّ لسانٌ حائكٌ صنع
فإنّهم أفضل الأحياء كلّهم إن جدّ بالناس جدّ القول أو شمعوا

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: حدّثني بعض أهل العلم بالشعر من بني
تميم أن الزّبرقان بن بدرٍ لمّا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم، قام
فقال:

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا إذا اختلفوا عند احتضار المواسم
بأنّا فروع الناس في كلّ موطنٍ وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وأنّا نذود المعلمين إذا انتخوا ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وأنّ لنا المرباع في كلّ غارةٍ نغير بنجدٍ أو بأرض الأعاجم

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هل المجد إلاّ السّودد العود والنّدى وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النّبيّ محمدًا على أنف راضٍ من معدٍّ وراغم
بحيٍّ حريدٍ أصله وثراؤه بجابية الجولان وسط الأعاجم
نصرناه لمّا حلّ وسط ديارنا بأسيافنا من كلّ باغٍ وظالم
جعلنا بيننا دونه وبناتنا وطبنا له نفسًا بفيء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتّى تتابعوا على دينه بالمرهفات الصّوارم
ونحن ولدنا من قريشٍ عظيمها ولدنا نبيّ الخير من آل هاشم
بني دارم لا تفخروا إنّ فخركم يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم، علينا تفخرون وأنتم لنا خولٌ من بين ظئرٍ وخادم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم

فلا تجعلوا لله ندًّا وأسلموا ولا تلبسوا زيًّا كزيّ الأعاجم
وأفضل ما نلتم من المجد و العلا ردافتنا عند احتضار المواسم
قالوا: فلما فرغ حسّان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إنّ هذا الرجل لمؤتًى له،
لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا،
ولأصواتهم أعلى من أصواتنا،
ولهم أحلم منّا. ونزل في وفد بني تميم قوله عز وجل: " إنّ الّذين ينادونك من وراء
الحجرات أكثرهم لا يعقلون. ولو أنّهم صبروا حتّى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم والله غفورٌ
رحيمٌ ".
قال محمد بن سعد: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم: " هذا
سيّد أهل الوبر " وردّ عليهم الأسرى والسّبي، وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفد؛ ثنتي
عشرة أوقية ونشًّا، وهي خمسمائة درهم.
قال ابن إسحق: وكان عمرو بن الأهتم قد خلّفه القوم في ظهرهم، وكان أصغرهم سنًّا،
فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله ! إنه قد كان رجلا منّا
في رحالنا وهو غلام حدث، وأزرى به، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما
أعطى القوم، فبلغ عمرو بن الأهتم ما قاله قيس فيه؛ فقال:
ظللت مفترش الهلباء تشتمني عند النبيّ فلم تصدق ولم تصب
إن تنقصونا فإنّ الرّوم أصلكم والرّوم لا تملك البغضاء للعرب
وإنّ سوددنا عودٌ وسوددكم مؤخّرٌ عند أصل العجب والذّنب
وروى أن الزّبرقان فخر يومئذ فقال:
يا رسول الله، أنا سيّد تميم، والمطاع فيهم، والمجاب منهم، آخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من
الظّلم، وهذا يعلم ذلك. وأشار إلى عمرو بن الأهتم. فقال عمرو: إنه شديد العارضة، مانعٌ
لجانبه، مطاعٌ في أدانيه. فقال الزّبرقان: والله لقد كذب يا رسول الله، وما منعه من أن يتكلم
إلا الحسد.
فقال عمرو: أنا أحسدك ؟ ! فو الله إنّك لئيم الخال، حديث المال، أحمق الولد، مبغضٌ في
العشيرة، والله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الثانية.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنّ من البيان لسحرا ".

فزارة
واستسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم
قال ابن سعد: لمّارجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك، قدم عليه وفد بني
فزارة، بضعة عشر رجلا؛ فيهم خارجة بن حصن، والحرّ ابن قيس بن حصن، وهو
أصغرهم، على ركابٍ عجافٍ، فجاءوا مقرّين بالإسلام. وسألهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن بلادهم، فقالوا: يا رسول الله، أسنتت بلادنا، وهلكت مواشينا، وأجدب
جنابنا، وغرث عيالنا، فادفع لنا ربك. فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر
ودعا، فقال: " اللّهمّ اسبق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، فأحي بلدك الميت، اللهم
اسقنا غيثًا مغيثا، مريئًا مريعًا، مطبقًا واسعًا، عاجلاً غير آجل، نافعًا غير ضارّ. اللهمّ
اسقنا سقيا رحمةٍ، لا سقيا عذابٍ ولا هدمٍ ولا غرقٍ ولا محقٍ. اللهمّ اسقنا الغيث
وانصرنا على الأعداء " فمطرت، فما رأوا السماء ستًّا، فصعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر، فدعا، فقال: اللّهمّ حوالينا ولا علينا، على الآكام والظّراب، وبطون الأودية،
ومنابت الشّجر ". قال: فانجابت السماء عن المدينة انجياب الثوب.
وفي صحيح البخاريّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنةٌ على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على
المنبر يوم الجمعة، قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا أن
يسقينا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، وما في السماء قزعة سحابٍ، قال فثار
سحابٌ أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، قال: فمطرنا
يومنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى، فقام ذلك الأعرابي –
أو رجلٌ غيره - فقال: يا رسول الله، تهدّم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يديه، فقال: " اللّهم حوالينا ولا علينا " قال: فما جعل يشير
بيديه إلى ناحية من السماء إلاّ تفرّجت، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة، حتى سال

الوادي وادي قناة شهرا. قال: فلم يأت أحدٌ من جهة إلا حدّث بالجود.
مرّة
قال: قدم وفد بني مرّة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك في
سنة تسعٍ، وهم ثلاثة عشر رجلا، رأسهم الحارث بن عوف؛ فقالوا: يا رسول الله، إنّا
قومك وعشيرتك، ونحن قوم من لؤيّ بن غالب. فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ثم قال: " أين تركت أهلك " ؟ قال: بسلاح وما والاها. قال: " كيف تركت البلاد " ؟
قال: والله إنّا لمسنتون، فادع الله لنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللّهمّ اسقهم
الغيث " وأمر بلالاً أن يجيزهم، فأجازهم بعشرة أواقٍ، عشرة أواقٍ فضّة، وفضّل الحارث
بن عوف، أعطاه ثنتي عشرة أوقيةً. فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مطرت في اليوم
الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
محارب
قال: قدم وفد محارب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر، في حجّة
الوداع، وهم عشرة نفر، منهم سواء بن الحارث، وابنه خزيمة بن سواء، فأنزلوا دار رملة
بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء؛ فأسلم وقالوا: نحن على من وراءنا، ولم يكن
أحد في تلك المواسم أفظّ ولا أغلظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني
محارب. قال: ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواء، فصارت له
غرّة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفد، وانصرفوا إلى أهليهم.
كلاب
قال: قدم وفد كلاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسعٍ من الهجرة، وهم
ثلاثة عشر رجلا، فيهم لبيد بن ربيعة، وجبّار بن سلمى، فأنزلهم دار رملة بنت الحارث،
فقالوا: يا رسول الله، إنّ الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله وبسنّتك التي أمرته، وأنه
دعانا إلى الله فاستجبنا لله ولرسوله، وأنه أخذ الصّدقة من أغنيائنا فردّها على فقرائنا.
رؤاس بن كلاب
روي عن أبي نفيع طارق بن علقمة الرؤاسيّ أنه قال: قدم رجلٌ منّا يقال له عمرو بن مالك

بن قيس الرّؤاسيّ على النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلم، ثم أتى قومه فدعاهم إلى
الإسلام، فقالوا: حتى نصيب من بني عقيل بن كعب مثل ما أصابوا منّا، فخرجوا
يريدونهم، وخرج معهم عمرو بن مالك فأصابوا فيهم، ثم خرجوا يسوقون النّعم، فأدركهم
فارسٌ من بني عقيل يقال له ربيعة بن المنتفق بن عامر ابن عقيل، وهو يقول:

أقسمت لا أطعن إلاّ فارسا إذا الكمأة لبسوا القوانسا

قال أبو نفيع: فقلت نجوتم يا معشر الرّجّالة سائر اليوم، فأدرك العقيليّ رجلاً من بني عبيد
بن رؤاس: يقال له المحرّش بن عبد الله بن عمرو بن عبيد بن رؤاس، فطعنه في عضده
فأخبلها، فاعتنق المحرّش فرسه، وقال: يا آل رؤاس ! فقال ربيعة: رؤاسٌ خيلٌ أو أناسٌ ؟
! فعطف على ربيعة عمرو بن مالك فطعنه فقتله. قال: ثم خرجنا نسوق النّعم، وأقبل بنو
عقيل في طلبنا حتى انتهينا إلى تربة، فقطع ما بيننا وبينهم وادي تربة، فجعل بنو عقيل
ينظرون إلينا فلا يصلون إلى شيء فمضينا. قال عمرو بن مالك: فأسقط في يدي، وقلت:
قتلت رجلا، وقد أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم ! فشددت يدي في غلٍّ إلى
عنقي، ثم خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بلغه ذلك، فقال: " لئن أتاني
لأضربنّ ما فوق الغلّ من يده " قال: فأطلقت يدي، ثم أتيته فسلّمت عليه فأعرض عنّي
فأتيته عن يمينه فأعرض عنّي، فأتيته عن يساره فأعرض عنّي، فأتيته من قبل وجهه،
فقلت: يا رسول الله، إن الربّ ليترضّى فيرضى، فارض عنّي رضي اله عنك. قال: "قد
رضيت عنك ".

عقيل بن كعب

قال محمد بن السّائب: حدّثنا رجل من بني عقيل بن كعب، عن أشياخ قومه، قالوا: وفد
منّا من بني عقيل بن كعب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيع ابن معاوية بن
خفاجة بن عمرو بن عقيل، ومطرّف بن عبد الله، وأنس بن قيس ابن المنتفق، فبايعوا
وأسلموا، وبايعوه على من وراءهم من قومهم، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

العقيق عقيق بني عقيل، وهي أرض فيها عيون ونخل وكتب لهم بذلك كتابا في أديم أحمر: "
بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعًا ومطرّفا وأنسًا؛ أعطاهم
العقيق ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وسمعوا وأطاعوا ". ولم يعطهم حقّا لمسلم، وكان
الكتاب في يد مطرّف. ووفد عليه أيضا لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل،
فأعطاه ماء يقال له النّظيم وبايعه على قومه.
قال: وقدم عليه أبو حرب بن خويلد بن عامر بن عقيل، فقرأ رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليه القرآن، وعرض عليه الإسلام، فقال: أما وايم الله لقد لقيت الله أو لقيت من
لقيه، فإنّك لتقول قولاً لا نحسن مثله، ولكن سوف أضرب بقداحي هذه على ما تدعوني
إليه، وعلى ديني الذي أنا عليه، وضرب بالقداح، فخرج على سهم الكفر، ثم أعاد فخرج
عليه ثلاث مرّات. فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أبى هذا إلاّ ما ترى، ثم رجع
إلى أخيه عقال بن خويلد، فقال له: قلّ خيسك. أي قلّ خيرك. فقال: هل لك في محمد ابن
عبد الله ؟ يدعو إلى دين الإسلام، ويقرأ القرآن، وقد أعطاني العقيق إن أنا أسلمت، فقال
له عقال: أنا والله أخطّك أكثر مما يخطّك محمد، ثم ركب فرسه وجرّ رمحه على أسفل
العقيق، فأخذ أسفله وما فيه من عين، ثم إنّ عقالا قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فعرض عليه الإسلام، وجعل يقول له: " أتشهد أن محمدا رسول الله " أتشهد أن
محمدا رسول الله " ؟ فيقول: أشهد أن هبيرة بن النّفاضة نعم الفارس يوم قرنى لبان. ثم
قال: " أتشهد أن محمدا رسول الله " ؟ قال: " أشهد أنّ الصّريح تحت الرّغوة " ثم قال له
الثالثة: " أتشهد " ؟ قال: فشهد وأسلم.
قال: ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحصين بن المعلّى بن ربيعة ابن عقيل،
وذو الجوشن الضّبابيّ فأسلما.

جعدة

قال محمد بن سعد: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الرّقاد بن عمرو بن ربيعة
بن جعدة بن كعب، فأعطاه صلى الله عليه وسلم بالفلج ضيعة، وكتب له كتابا وهو

عندهم.
قشير بن كعبٍ
قال: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من بني قشير، قبل حجة الوداع وبعد
حنين، فيهم ثور بن عزرة بن عبد الله بن سلمة بن قشير فأسلم، فأقطعه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قطيعةً، وكتب له بها كتابا. وفيهم حيدة بن معاوية ابن قشير، وفيهم قرّة
بن هبيرة بن سلمة الخير بن قشير فأسلم، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكساه
بردا، وأمره أن يتصدّق على قومه؛ أي يلي الصدقة.
بني البكّاء
قال: وفد ثلاثة نفر من بني البكّاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع،
فيهم معاوية بن ثور بن عبادة بن البكّاء. وهو يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ابن له يقال له
بشر، والفجيع بن عبد الله، ومعهم عبد عمرو البكّائي وهو الأصمّ، فسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، وكتب له بمائة الذي أسلم عليه " ذي القصّة ". وكان
عبد الرحمن من أصحاب الصّفّة، فأنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلٍ وضيافة،
وأجازهم ورجعوا إلى قومهم.
وقال معاوية للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أتبرك بمسّك وقد كبرت، وابني هذا برٌّ بي
فامسح وجهه، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه بشر بن معاوية، وأعطاه
أعنزا عفرا، وبرّك عليهنّ، وكانت السّنة تصيب بني البكّاء ولا تصيبهم، وفي ذلك يقول
محمد بن بشر بن معاوية:

وأبى الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أعنزًا عفرًا نواجل لسن باللّجبات
يملأن رفد الحيّ كلّ عشيّةٍ ويعود ذاك الملء بالغدوات
بوركن من منحٍ وبورك مانحًا وعليه منّي ما حييت صلاتي

كنانة
وبني عبد بن عديّ
قالوا: وفد واثلة بن الأسقع الليثيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك، فصلّى معه الصّبح، فقال: " من أنت ؟ وما
جاء بك ؟ وما حاجتك " ؟ فأخبره عن نسبه، وقال: أتيتك لأومن بالله ورسوله؛ فقال

رسول الله: " فبايع على ما أحببت وكرهت ". فبايعه ورجع إلى أهله فأخبرهم؛ فقال
أبوه: والله لا أكلّمك كلمةً أبدا، وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجهّزته، فخرج راجعا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجده قد سار إلى تبوك.
فقال: من يحملني عقبةً وله
سهمي ؟ فحمله كعب بن عجرة حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد معه
تبوك. وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد بن الوليد إلى أكيدر، فجاء بسهمه
إلى كعب بن عجرة، فأبى أن يقبله وسوّغه إياه، وقال: إنما حملتك لله تعالى.
قال: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عبد بن عدي، وفيهم الحارث
بن أهبان، وعويمر بن الأحزم، وحبيب وربيعة ابنا ملّة، ومعهم رهط من قومهم؛ فقالوا: يا
محمد، نحن أهل الحرم وساكنوه، وأعزّ من به، ونحن لا نريد قتالك، ولو قاتلت غير قريش
قاتلنا معك، ولكنا لا نقاتل قريشا. وإنا لنحبك ومن أنت منه، فإن أصبت منّا أحدا خطأ
فعليك ديته، وإن أصبنا أحدا من أصحابك فعلينا ديته. فقال: " نعم " فأسلموا.
باهلة
قال: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مطرّف بن الكاهن الباهليّ بعد الفتح
وافدا لقومه، فأسلم وأخذ لقومه أمانًا، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه
فرائض الصّدقات.
ثم قدم نهشل بن مالك الوائليّ من باهلة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وافدا
لقومه، فأسلم وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولمن أسلم من قومه كتابا فيه
شرائع الإسلام. كتبه عثمان بن عفّان.
هلال بن عامر
قالوا: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من بني هلال، فيهم عبد عوف بن
أصرم بن عمرو بن شعيثة فأسلم؛ فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله.
وفيهم قبيصة بن المخارق، فقال: يا رسول الله، إنّي حملت عن قومي حمالة فأعنّي فيها؛
قال: " هي لك في الصّدقات إذا جاءت ".

قالوا: ووفد زياد بن عبد الله بن مالك، فلما دخل المدينة، توجه إلى منزل ميمونة بنت
الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت خالة زياد - أمّه عزّة بنت الحارث، وهو
يومئذ شاب - فدخل النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو عندها، فلما رآه غضب ورجع،
فقالت: يا رسول الله، هذا ابن أختي، فدخل إليها ثم خرج حتى أتى المسجد ومعه زياد،
فصلّى الظهر، ثم أدنى زيادا فدعا له، ووضع يده على رأسه، ثم حدرها على طرف أنفه.
فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نتعرّف البركة في وجه زياد. قال الشاعر لعليّ بن زياد:

يابن الذي مسح النبيّ برأسه ودعا له بالخير عند المسجد
أعني زيادًا لا أريد سواءه من غائرٍ أو متهمٍ أو منجد
ما زال ذاك النور في عرنينه حتى تبوّأ بيته في الملحد

عامر بن صعصعة

وخبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

قال محمد بن سعد: قدم عامر بن الطّفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وأربد بن ربيعة بن
مالك بن جعفر. - قال ابن إسحق: وأبد بن قيس ابن جزء بن خالد بن جعفر، وجبّار
بن سلمى بن مالك بن جعفر - على رسول الله صلى الله عليه وسلم -. - قال ابن
سعد - فقال عامر بن الطّفيل: يا محمد، مالي إن أسلمت ؟ قال: " لك ما للمسلمين،
وعليك ما عليهم ". قال: أتجعل لي الأمر من بعدك ؟ قال: " ليس ذلك لك ولا لقومك "
قال: أفتجعل لي الوبر ولك المدر ؟ قال: " لا "، ولكنّي أجعل لك أعنّة الخيل، فإنك امرؤ
فارس ". قال: أو ليست لي ؟ لأملأنها عليك خيلاً ورجلا. ثم ولّيا؛ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " اللّهم اكفنيهما، اللّهم واهد بني عامر وأغن الإسلام عن عامر " -
يعني ابن الطّفيل.

وقال ابن إسحق: قدم عامر بن الطّفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يريد
الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنت
آليت ألاّ أنتهي حتّى تتبع العرب عقبي، وأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد
بن قيس: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله

بالسيف. فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطّفيل. يا
محمد، خالّني. قال: " لا والله حتى تؤمن بالله وحده "، فجعل يكرر هذا القول ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يعيد عليه مقالته، وهو في ذلك ينتظر من أربد ما أمره به، فلم يصنع
أربد شيئا، وكان آخر ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أما والله لأملأنّها عليك
خيلا ورجلا، فلما ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم اكفني عامر ابن
الطّفيل " فلما خرجوا من عنده قال عامر لأربد: ويلك ! أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما
كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وايم الله لا أخافك بعد
اليوم أبدا. قال له أربد: لا أبا لك ! لا تعجل عليّ، والله ما هممت بالذي أمرتني به من
أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل، حتى لا أرى غيرك ! أفأضربك بالسيف ! قال:
وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن
الطّفيل الطاعون في عنقه، فمال إلى بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر، غدّة
كغدّة البكر، وموتٌ في بيت سلوليّة ! قال: ومات فواراه أصحابه، وخرجوا حتى قدموا
أرض بني عامر، فأتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد ؟ فقال: لا شيء، والله لقد دعانا
إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالنّبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو
يومين معه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.
وقال أبو إسحق أحمد بن محمد الثعلبيّ في هذه القصة، بسند يرفعه إلى عبد الله ابن
عباس رضي الله عنهما، قال: أقبل عامر بن الطّفيل وأربد بن ربيعة يريدان رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وهو بالمسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخلا المسجد
فاستشرف الناس لجمال عامر، وكان أعور، وكان من أجمل الناس، فقال رجل من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هذا عامر ابن الطّفيل قد أقبل نحوك،
فقال: " دعه فإن يرد الله به خيرا يهده " فأقبل حتى قام عليه. فقال: يا محمد، ما لي إن

أسلمت ؟ فقال: " لك ما للمسلمين، وعليك ما على المسلمين ". قال: تجعل لي الأمر
بعدك ؟ قال: " ليس ذلك إليّ، إنما ذلك إلى الله عز وجل، يجعله حيث يشاء ". قال
تجعلني على الوتر وأنت على المدر ؟. قال: " لا ". قال: فماذا تجعل لي ؟ قال: " أجعل
لك أعنّة الخيل تغزو عليها ". قال: أو ليس ذلك لي اليوم ؟ ! قم معي أكلّمك. فقام معه
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أوصى إلى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلّمه فدر من
خلفه فاضربه بالسيف؛ فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه، فدار
أربد خلف النبيّ صلى الله عليه وسلم، فاخترط من سيفه شبرا، ثم حبسه الله عزّ وجلّ
عنه فلم يقدر على سلّه، وجعل عامر يوميء إليه، فالتفت رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فرأى أربد وما يصنع بسيفه، فقال: " اللهم اكفنيهما بما شئت ". فأرسل الله عزّ
وجلّ على أربد صاعقة في يوم صائف فأحرقته، وولّى عامرٌ هاربا، وقال: يا محمد، دعوت
ربّك فقتل أربد، والله لأملأنّها عليك خيلا جردًا، وفتيانا مردًا؛ فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " يمنعك الله ذلك وأبناء قيلة " يعني الأوس والخزرج. فنزل عامر بيت امرأة
سلوليّة وأنشأ يقول:

تخيّر أبيت اللّعن إن شئت ودّنا وإن شئت حربًا ذات بأسٍ ومصدق
وإن شئت فتيانًا بكفّي أمرهم يكبّون كبش العارض المتألّق

فلما أصبح ضمّ عليه سلاحه، وقد تغيّر لونه، وهو يقول:

لعمري وما عمري عليّ بهيّنٍ لقد شان حرّ الوجه طعنة مسهر
وقد علم المزنوق أنّي أكرّه على جمعهم كرّ المنيح المشهّر
إذا ازورّمن وقع السّنان زجرته وأخبرته أنّي امرؤ غير مقصر
وأخبرته أنّ الفرار خزايةٌ على المرء ما لم يبد عذرًا فيعذر
لقد علمت عليا هوازن أنّني أنا الفارس الحامي حقيقة جعفر

فجعل يركض في الصحراء ويقول: ابرز يا ملك الموت ! ثم أنشأ يقول:

ألا قرّب المزنوق إذ جدّ ما أرى لتعريض يومٍ شرّه غير حامد
ألا قرّباه إنّ غاية جرينا إذا قرب المزنوق بين الصّفائد
بنو عامرٍ قومي إذا ما دعوتهم أجابوا ولبّى منهم كلّ ماجد

ويقول: واللّات لئن أصحر إليّ وصاحبه - يعني ملك الموت - لأنفذتهما برمحي.
قال: فلما رأى الله عزّ وجلّ ذلك منه، أرسل ملكا فلطمه بجناحه، فأرداه في التراب،
وخرجت على ركبته غدّة عظيمة في الوقت، فعاد إلى بيت السّلوليّة وهو يقول: غدّة كغدّة
البعير، وموتٌ في بيت سلولية. ثم دعا بفرسه فركبه، ثم أجراه حتى مات على ظهره.
قال: فرثى لبيد بن ربيعة أخاه أربد بجملة من المراثي؛ فمنها هذه الأبيات:

قضّ اللّبانة لا أبا لك واذهب والحق بأسرتك الكرام الغيّب
ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلفٍ كجلد الأجرب
يتلذّذون ملاذةً ومجانةً ويعاب قائلهم وإن لم يشعب
فتعدّ عن هذا وقل في غيره واذكر شمائل من أخ لك معجب
إنّ الرّزيّة لا رزيّة مثلها فقدان كلّ أخ كضوء الكوكب
من معشرٍ سنّت لهم أباؤهم والعزّ لا يأتي بغير تطلّب
يا أربد الخير الكريم جدوده أفردتني أمشي بقرن أعضب

وقال أيضا فيه:

ما إن تعدّي المنون من أحدٍ لا والدٍ مشفقٍ ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السّماك والأسد
يا عين هلاّ بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد
فجّعني الرّعد والصّواعق بالفا رس يوم الكريهة النّجد

قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في هذه القصّة: " سواءٌ منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن
هو مستخفٍ باللّيل وساربٌ بالنّهار. له معقباتٌ من بين يديه ومن خلفه " يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم " يحفظونه " يعني تلك المعقبات " من أمر الله ". ثم قال تعالى مشيرا
لهذين: " إنّ الله لا يغيّر ما بقومٍ حتّى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقومٍ سوءًا فلا مردّ له
وما لهم من دونه من والٍ ". أي ملجإ يلجئون إليه. وقد قيل: " والٍ " يلي أمرهم، ويمنع
العذاب عنهم. ثم قال تعالى: " هو الّذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا ". قال: " خوفًا "
للمسافر يخاف أذاه ومشقّته. " وطمعًا " للمقيم يرجو بركته ومنفعته. " وينشيء السّحاب
الثّقال. ويسبّح الرّعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصّواعق فيصيب بها من يشاء
وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال " قال الحسن: شديد الحقد.

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: شديد الأخذ. وقد روى الثّعلبيّ أيضا، عن
إسحق الحنظليّ، عن ريحان بن سعيد الشّامي، عن عبّاد بن منصور، قال سألت الحسن
عن قوله عز وجل: " ويرسل الصّواعق فيصيب بها من يشاء " الآية.
قال: كان رجلٌ من طواغيت العرب، فبعث إليه النبيّ صلى الله عليه وسلم نفرًا ليدعوه
إلى الله عز وجل ورسوله أن يؤمن، فقال لهم: أخبروني عن ربّ محمدٍ هذا الذي تدعوني
إليه ما هو ؟ وممّ هو ؟ من ذهب أم فضّة أم حديد أم نحاس ؟ فاستعظم القوم مقالته،
وانصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا رجلاً أكفر
قلبًا، ولا أعتى على الله منه ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ارجعوا إليه "
فرجعوا إليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى وأخبث، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " ارجعوا إليه " فرجعوا، فبيناهم عنده ينازعونه ويدعونه ويعظمون عليه،
وهو يقول هذه المقالة؛ إذ ارتفعت سحابةٌ فكانت فوق رءوسهم، فرعدت وبرقت فرمت
بصاعقة فاحترق الكافر وهم جلوس، فجاءوا يسعون ليخبروا النبيّ صلى الله عليه وسلم
فاستقبلهم قومٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا لهم: احترق
صاحبكم. قالوا لهم: من أين علمتم ؟ قالوا: أوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم
الساعة: " ويرسل الصّواعق فيصيب بها من يشاء " الآية. والله أعلم في أيهما نزلت.
ولنرجع إلى تتمة خبر وفد عامر بن صعصعة.
قال محمد بن سعد في طبقاته: وكان في الوفد عبد الله بن الشّخّير، فقال: يا رسول الله،
أنت سيدنا، وذو الطّول علينا. قال: " السيّد الله، لا يستهوينّكم الشيطان ".
قالوا: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن علاثة بن عوف، وهوذة بن
خالد بن ربيعة وابنه، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسا إلى جنب رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أوسع لعلقمة " فأوسع

له، فجلس إلى جنبه، فقصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام، وقرأ
عليه قرآنا، فقال: يا محمد، إن ربّك لكريم، وقد آمنت بك، وبايعت على عكرمة بن خصفة
أخى قيس، وأسلم هوذة وابنه وابن أخيه.
وروى ابن سعد عن عوف بن أبي حجيفة السّوائيّ عن أبيه قال: قدم وفد بني عامر
وكنت معهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدناه بالأبطح في قبّة حمراء، فسلّمنا عليه،
فقال: " من أنتم " ؟ قلنا: بنو عامر بن صعصعة. قال: " مرحبًا بكم أنتم منّي وأنا منكم
".
ثقيف
وإسلامها وهدم اللّات
كان قدوم وفد ثقيفٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسلامها في شهر رمضان
سنة سبع من مهاجره.
قال أبو عبد الله محمد بن إسحق، وأبو محمد عبد الملك بم هشام، وأبو عبد الله محمد بن
سعد رحمهم الله، دخل حديث بعضهم في حديث بعض: لمّا حاصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الطائف لم يحضر عروة بن مسعود، ولا غيلان بن سلمة الحصار، بل كانا بجرش
يتعلّمان صنعة العرّادات والمنجنيق والدّبابات، فقدما وقد انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الطّائف، فنصبا المنجنيق والعرّدات والدّبابات واعتدّا للقتال، ثم ألقى الله
في قلب عروة الإسلام، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع أثره، حتى أدركه
قبل أن يصل المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " إنّهم قاتلوك " فقال عروة: يا رسول الله، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم. قال:
فكرر عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا، فقال: " إن شئت فاخرج " فخرج،
وكان فيهم كذلك محبّبا مطاعا، فسار إلى الطائف، فسار خمسا فقدم عشاءً، فدخل منزله،
فجاء قومه يحيّونه بتحيّة الشّرك، فقال: عليكم بتحية أهل الجنة " السّلام ". ودعاهم إلى
الإسلام فخرجوا من عنده يأتمرون به، فلمّا طلع الفجر أوفى على غرفة له فأذّن بالصلاة،

فخرجت ثقيفٌ من كل ناحية، فرماه رجل يقال له أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك -
وقيل: بل هو وهب بن جابر رجلٌ من الأحلاف - بسهم فأصاب أكحله فلم يرقأ دمه، فقام
أشراف قومه؛ وهم: غيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل، والحكم بن عمرو ابن وهب،
ووجوه الأحلاف، فلبسوا السّلاح وحشدوا، فلما رأى عروة ذلك قال: قد تصدّقت بدمي
على صاحبه؛ لأصلح بذلك بينكم، وهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادةٌ ساقها الله إليّ.
وقال: ادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات فدفنوه
معهم، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال فيه: " إنّ مثله في قومه لكمثل
صاحب " يس " دعا قومه إلى الله فقتلوه ".
قالوا: ولحق أبو المليح بن عروة، وقارب بن الأسود بن مسعود برسول الله صلى الله عليه
وسلم فأسلما، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تولّيا من شئتما " فقالا: نتولّى
الله ورسوله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وخالكما أبا سفيان بن حرب "
فقالا: وخالنا أبا سفيان.
قال ابن إسحق: ثم أقامت ثقيف بعدما قتل عروة أشهرًا، ثم ائتمروا بينهم، ورأوا أنهم لا
طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا. وكان مالك بن عوف قد أسلم
كما قدّمنا في غزوة حنين، وجعل يغير على سرحهم. قال: وكان عمرو بن أمية أخا بني
علاج مهاجرًا لعبد يا ليل بن عمرو، وكان من أدهى العرب، فمشى إلى عبد يا ليل بن
عمرو حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أن اخرج إليّ، فاستعظم عبد يا ليل مشيه إليه، وقال
للرسول الذي جاءه: ويلك ! أعمرو أرسلك إليّ ؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفا في دارك،
فقال: إن هذا لشيء ما كنت أظنه، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك، وخرج إليه، فلمّا
رآه رحّب به، فقال عمرو له: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة، إنه قد كان من أمر هذا
الرجل ما قد رأيت، وقد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في
أمركم. فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال بعضهم لبعض: ألا ترون أنه لا يأمن لكم

سربٌ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع. فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا منهم، كما أرسلوا عروة بن مسعود، فعرضوا ذلك على عبد يا ليل بن
عمرو بن عمير، فأبى أن يفعل، وخشي أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة، فقال: لست
فاعلا حتى يرسلوا معي رجالا، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني
مالك، فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وهب بن معتّب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن
معتّب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر أخا بني يسار، وأوس بن عوف أخا
بني سالم، ونمير بن خرشة بن ربيعة أخا بني الحارث، فخرج بهم عبد يا ليل وهو ناب القوم
وصاحب أمرهم.
وقال ابن سعد: كانوا بضعة عشر رجلا، وهو أثبت.
وقال ابن إسحق: فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة، ألفوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته
ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت رعيتها نوبًا على أصحابه، فلما
رآهم ترك الرِّكاب عند الثّقفيين، وخرج يشتدّ ليبشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، فقال أبو
بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى
أكون أنا أحدّثه؛ ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إليهم فعلّمهم كيف يحيّون رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.
قال: ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضرب عليهم قبّة في ناحية
مسجده - كما يزعمون - وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم، حتى كتبوا كتابهم، وكتبه خالد بيده، وهو: " بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد النبيّ رسول الله، إلى المؤمنين: إنّ عضاه وجٍّ وصيده حرام لا يعضد، ومن

وجد يفعل شيئا من ذلك فإنه يجلد وتنزع ثيابه، فإن تعدّى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به النبيّ -
محمدا صلى الله عليه وسلم - وأن هذا أمر النبيّ محمدٍ رسول الله. وكتب خالد بن
سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدّه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمدٌ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ".
قال ابن إسحق: وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم.
قال: وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطّاغية وهي
اللّات؛ لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم، فما
برحوا يسألونه حتى سألوه شهرا واحدا بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمًّى.
وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون بأن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون
أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام. فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدماها. وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية
أن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أوثانهم بأيديهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" أمّا كسر أوثانهم بأيديهم فسنعفيكم منه، وأما الصّلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ".
فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكما وإن كانت دناءة. فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابهم، أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنًا، وكان
أحرصهم على التّفقّه في الإسلام وتعلّم القرآن، فقال أبو بكر الصدّيق ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم.
روى عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين بعثني على ثقيفٍ أن قال: " يا عثمان؛ تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم
فإن فيهم الكبير والصّغير والضّعيف وذا الحاجة ".
قال ابن إسحق: ولما توجهوا إلى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا
سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجا مع القوم، حتى إذا قدموا

الطائف أراد المغيرة أن يقدّم أبا سفيان فأبى ذلك عليه، وقال ادخل أنت على قومك. وأقام
أبو سفيان بماله بذي الهدم، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه
بنو معتّب دونه خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود، وخرج نساء
ثقيف حسّرا يبكين ويقلن:
لتبكينّ دفّاع أسلمها الرّضّاع
لم يحسنوا المصاع
قال: ويقول أبو سفيان بن حرب، والمغيرة يضربها بالفأس: واهًا لك! أهلاً لك ! فلما
هدمها المغيرة بن شعبة وأخذ مالها وحليّها، أرسل إلى أبي سفيان، وحليّها مجموعٌ، ومالها
من الذّهب والجزع.
وقد كان أبو مليح بن عروة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضي عن أبيه عروة
بن مسعود دينا كان عليه من مال الطاغية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم "
فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، - وعروة والأسود أخوان لأب
وأمٍّ - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الأسود مات مشركا "، فقال قارب: يا
رسول الله، لكن يصل مسلمًا ذا قرابة - يعني نفسه - إنّما الدّين عليّ وأنا الذي أطلب به.
فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال
الطّاغية؛ فلمّا جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما. فقضى عنهما.
قال المغيرة: فدخل ثقيف في الإسلام، فلا أعلم قوما من العرب بني أبٍ ولا قبيلة كانوا
أصحّ إسلاما، ولا أبعد أن يوجد فيهم غشٌّ لله ولكتابه منهم.
عبد القيس
قال محمد بن سعد: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل البحرين أن يقدم عليه
منهم عشرون رجلا، فقدموا؛ رأسهم عبد الله بن عوف الأشجّ، وفيهم الجارود بن عمرو
بن حنش، ومنقذ بن حبّان وهو ابن أخت الأشجّ، وكان قدومهم عام الفتح، فقيل: يا
رسول الله هؤلاء وفد عبد القيس، فقال: " مرحبًا بهم نعم القوم عبد القيس ". قال: ونظر

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأفق صبيحة ليلة قدموا، فقال: " ليأتينّ ركبٌ من
المشرق لم يكرهوا على الإسلام، قد أنضوا الرّكاب، وأفنوا الزاد بصاحبهم علامة، اللّهمّ
اغفر لعبد القيس، أتوني لا يسألون مالاً هم خير أهل المشرق ".
قال: فجاءوا في ثيابهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، فسلّموا عليه،
فقال: " أيكم عبد الله الأشجّ " ؟ فقال: أنا يا رسول الله. وكان رجلا دميما، فنظر إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " إنه لا يستقى في مسوك الرجال، إنما يحتاج من
الرّجل إلى أصغريه لسانه وقلبه ". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فيك خصلتان
يحبّهما الله تعالى " فقال عبد الله: وما هما ؟ قال: " الحلم والأناة ". قال: أشيء حدث أم
جبلت عليه ؟. قال: " بل جبلت عليه ". قال: وكان الجارود نصرانيا، فعرض عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ورغّبه فيه.
قال ابن إسحق: فقال يا محمد، إنّي قد كنت على دين، وإني تاركٌ ديني لدينك: أفتضمن لي
ديني ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نعم، أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى
ما هو خيرٌ منه ". فأسلم وأسلم أصحابه.
قال ابن سعد: وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس في دار رملة بنت
الحارث، وأجرى عليهم ضيافة، وأقاموا عشرة أيام، وكان عبد الله الأشجّ يسائل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الفقه والقرآن، وأمر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز،
وفضّل عليهم عبد الله الأشجّ؛ فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونشًّا، ومسح صلى الله عليه
وسلم وجه منقذ بن حبّان.

بكر بن وائل

قال ابن سعد: قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في
الوفد بشير بن الخصاصيّة، وعبد الله بن مرثد، وحسّان بن خوط؛ ولذلك يقول رجلٌ من
ولد حسّان:

أنا ابن حسّان بن خوط وأبى رسول بكرٍ كلّها إلى النّبيّ

قالوا: وقدم معهم عبد الله بن أسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سدوس،

وكان ينزل اليمامة، فباع ما كان له من مال باليمامة، وهاجر وقدم على رسول الله صلى الله